
جمرة
حسام لمشرق

جمرة

تأليف: ***حسام لمشرق***

النشر: **2025**

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

بعض الجراحِ لا
تُشفى... بل تكتب

الكتابة نوع من الحريق...

إنها تحرقك أولاً، ثم تضيء الطريق

من يكتب من الجمر،
لا يبحث عن القرّاء...
بل عن النجاة

مقدمة

في زوايا الصمت، حين يتوقف الزمن وتتكلم الندوب، تولد قصص لا تُروى إلا بالحريق.

"جمرة" لم تكن فقط فتاة ضائعة بين السطور، بل كانت جرحًا يمشي، يحترق، ويكتب. لم تكن تسير على الأرض، بل فوق هشيم التجربة، تحمل ذاكرة مثقوبة كغربال، تسقط منها التفاصيل لتبقى النهايات، عارية وقاسية.

هذه ليست حكاية فتاة فقط... بل حكاية كل من حمل حطام قلبه ومشى به نحو المجهول، وكل من سكنته الأسئلة أكثر من الأجوبة، وكل من خبأ الألم خلف ابتسامة مرسومة بقلم مرتجف.

هي ليست اسمًا عابرًا على صفحة، بل صوتًا خافتًا يصرخ في العتمة، ظلًا يرتجف تحت وهج الذاكرة، ورجفةً خالدة في صدر كل من جرّب السقوط دون صوت.

كانت جمرة، وما زالت، تسكن في تلك اللحظة التي يتوقف فيها القلب عن التصديق، ويبدأ العقل في نسج كوابيسه الخاصة.

كانت أنفاسًا مبتورة، وأحلامًا مؤجلة، وكلمات لم تُقل في الوقت الذي كان يجب أن تُقال فيه، كانت مرآةً مكسورة تعكس وجوهًا كثيرة، لكنها لا تعكس وجهها.

هذه قصة الخوف حين يتجسد، والكتابة حين تصبح سلاحًا، والذاكرة حين تتآمر مع الغياب.

هي حكاية الصراخ الصامت، والنزيف البطيء من أماكن لا تُرى، هي الحريق الذي لا يُخمد، لأنه ببساطة... ليس في الخارج، بل في الداخل.

هي قصة كل محاولة للبقاء تحت الرماد، وكل شهقة خافتة وسط جحيمٍ صاخب، وكل يدٍ مدت لتُمسك شيئًا، لكنها لم تجد سوى الفراغ.

جمرة كانت تمشي على خيطٍ من لهب، بين الجنون والعقل، بين الحقيقة والوهم، بين ما حدث فعلًا، وما تتمنى لو أنه لم يحدث، كانت تكتب لتتذكر، ثم تكتب لتنسى، ثم تكتب لأنها إن لم تفعل... ستنطفئ.

هذه ليست رواية، بل اعتراف متأخر، نزف مؤجل، ومواجهة مع مرآة لا ترحم.

هذه ليست كلمات مرصوفة بعناية، بل شظايا، بقايا، أنين محبوس في حروف.

هذه... "جمرة".

الفصل الأول – "شرارة"

كانت المدينة غارقة في صمتها الثقيل، بينما الرياح العابرة تتسلل بين الأزقة كما لو كانت تبحث عن أسرار مخبأة في الظلال.

في تلك الليلة، لم يكن الخارج وحده عاصفًا، بل كان الداخل أكثر اضطرابًا، على سرير صغير في غرفة تتنفس العزلة، كانت "جمرة" تتقلب كمن يبتلع النار دون أن يصرخ. كان جسدها ساكنًا، لكن روحها كانت تركض في دوائر لا تنتهي.

لم يُولد اسم "جمرة" معها. كان لقبًا انتزعته من قلبها ليلة انقلبت حياتها رأسًا على عقب، ليلة صارت فيها النار جزءًا من ملامحها. ولدت في بيت مليء بالحب، بأحاديث دافئة على العشاء، بضحكات

صغيرة تتساقط على أرضية المطبخ كحبات السكر، لكن أحدًا لم يعلمها كيف تتعامل مع الندوب التي لا تترك أثرًا على الجلد، بل تحفر في الروح.

كانت ترى العالم يومًا بلون وردي، تزينه أحلام بسيطة ورغبات صغيرة، لكن شيئًا ما تغيّر، تسللت ألسنة اللهب إلى قلبها ببطء، كما لو كانت تعرف طريقها جيدًا.

في البداية كانت جمرات صغيرة، شرارات تتطاير من هنا وهناك، لكنها سرعان ما اتحدت لتكوّن حريقًا لا يهدأ.

كل فصل من حياتها كان جمرة، وكل جمرة لم تكن لتخمد، بل كانت تنضم إلى أخواتها، تتراكم، وتغذي بعضها البعض. وفي كل مرة كانت تكتب، كانت تشعر أن الكلمات تمنحها لحظة تنفس، وكأنها تُطفئ جزءًا صغيرًا من النار، لكنها كانت تعلم في أعماقها أن النار أكبر من أي جملة، وأعمق من أي نص.

في تلك الليلة، بينما كانت تغرق في الكتابة، وصلتها رسالة على هاتفها، لم يكن لها اسم مرسل ولا عنوان، فقط جملة واحدة:

"حين تنطفئ آخر جمرة، ستعرفين من أنا."

ارتجفت أصابعها حتى كادت تسقط القلم، أغلقت عينيها للحظة، وحين فتحتهما، كان الصمت في الغرفة أكثر ثقلًا من قبل، وكأن الزمن توقف ليلقي بثقله على صدرها.

من الذي يراقبها؟ وكيف عرف؟ وماذا يقصد بانطفاء آخر جمرة؟

في تلك اللحظة، أدركت أن ما تعيشه ليس مجرد احتراق داخلي، بل بداية رحلة طويلة، رحلة لن تنطفئ بسهولة...

الفصل الثاني – "رماد"

مرّت الأيام ثقيلة كأنها تتعمد أن تجرّ خطواتها أمامها، لكن الجمر الذي بداخل "جمرة" لم ينطفئ، بل بدا وكأنه يزداد اشتعالًا مع كل نفس تأخذه،

الرسالة الأولى التي وصلتها لم تكن سوى الشرارة الأولى، لكنها لم تكن الأخيرة، بدأ هاتفها يلتقط رسائل غريبة، كل واحدة منها أشبه بصفعة توقظ جرحًا نائمًا أو همسة تحرّك سرًا دفينًا.

في كل رسالة كانت كلمة تتكرر... كلمة قصيرة، لكنها حادة كحد السكين: "رماد".

تلك الكلمة لم تكن عابرة بالنسبة لها، بمجرد أن قرأتها، عادت ذاكرتها إلى تلك الليلة المظلمة، حين فكرت لأول مرة أن تضع حدًا لكل شيء، كانت وحدها، في غرفة مغلقة، والموسيقى الصاخبة تملأ الجدران، لكنها لم تنجح في إخفاء صوت ارتجاف أنفاسها، لم تكن تبكي، بل كان جسدها ينتفض من الداخل، وكأن روحها تحاول الهروب من بين أضلاعها، شعرت وقتها أن اللهب التهم آخر خيط من الأمل، لكنها لم تمت.

في الصباح التالي، وجدت نفسها ما تزال على قيد الحياة، لكنها لم تعد كما كانت، تحوّلت، صارت شيئًا آخر، كائنًا يعيش بين الحريق والرماد، لم تعد ضحية، بل تحوّلت إلى مرآة تعكس وجوه كل من احترق ولم ينطفئ.

منذ ذلك اليوم، صارت الكتابة طريقتها الوحيدة في البقاء. كل كلمة كانت محاولة لالتقاط أنفاسها من وسط الدخان، وفي كل فصل جديد كانت تكتبه، كانت تشعر أنها تقترب أكثر من شيء مجهول، شيء لا يعرف خيوطه إلا هي... أو من يرسل تلك الرسائل.

الفصل الثالث – "الدفتر"

في إحدى ليالي الشتاء الباردة، خرجت "جمرة" في جولة ليلية بلا هدف، كانت شوارع المدينة خالية تقريبًا، والمصابيح تضيء على فترات كأنها تتردد في أداء مهمتها، وبينما كانت تسير، لاحظت شيئًا ملقى على الأرض قرب الرصيف، كان دفترًا صغيرًا، مبللًا بماء المطر، لكن بطريقة غريبة لم يتلف تمامًا، وكأن أحدهم وضعه هناك عمدًا في انتظارها.

ترددت لحظة قبل أن تنحني لالتقاطه، أصابعها الباردة لامست الغلاف، وفتحت الصفحة الأولى. كانت هناك جملة مكتوبة بخط أنيق:

"لن تنطفئي إلا عندما تختارين النور."

قلبت الصفحة التالية، فتجمدت ملامحها. كل ما كان مكتوبًا بدا مألوفًا بشكل مريب، كانت تلك أحداثًا من حياتها... تفاصيل دقيقة لم تخبر بها أحدًا، ولم تكتبها من قبل، قلبت الصفحات بسرعة، وكل كلمة كانت تضرب في قلبها كسهم.

من الذي كتب عنها؟ ومن كان يراقبها؟ هل هذا شخص يعرفها جيدًا... أم أن الماضي قرر أن يعود بنفسه ويكتب عنها؟

بدأت فكرة مخيفة تتشكل في عقلها: ربما كاتب هذه الكلمات ليس شخصًا آخر، بل هو الجزء المدفون منها، الصوت الذي حاولت قتله بالمسكنات، بإجبار نفسها على الضحك، بالصمت الطويل... لكنه عاد الآن ليكتب بصوته الخاص.

الفصل الرابع – "من العين الثالثة"

منذ ذلك اليوم، لم تعد "جمرة" ترى العالم بالطريقة ذاتها، شعرت وكأن عينيها لم تعدا اثنتين فقط، بل ظهرت لهما "عين ثالثة" تلتقط الأشياء المخفية خلف المظاهر، الأشخاص الذين تقابلهم في الشارع لم يعودوا مجرد وجوه عابرة، بل صار كل منهم موضع شك، كل ابتسامة تحتمل أن تخفي سكينًا، وكل نظرة تحمل احتمالًا لسرّ دفين.

في مساء باهت، دخلت مقهى كانت تزوره في مراهقتها، نفس المقاعد الخشبية القديمة، نفس رائحة القهوة المرة التي تشبه ملامحها الآن، جلست على طاولة في الزاوية، وعندما سحبت الكرسي، وجدت ورقة صغيرة ملتصقة بالخشب من الأسفل، كانت الكلمات مكتوبة بخط مألوف:

"الألم لا ينتهي، بل يُعاد ترتيبه."

شعرت أن جدران المقهى تضيق حولها، وأن الماضي يمد يده ليلمس كتفها.

الفصل الخامس – "ما لا يُقال"

قررت أن تجرب العلاج النفسي، لكنها لم ترغب أن يعرف أحد بذلك، سجلت جلسة بإسم مستعار، وجلست أمام معالِجة لا تعرف شيئًا عنها، كان المكان هادئًا، الجدران مزينة بصور مطمئنة، لكن قلبها كان يخفق كطبل حرب.

سألتها المعالجة بهدوء:

– "ما الذي لا تودين قوله لأحد؟"

صمتت "جمرة"، شعرت أن الكلمات تتجمع عند حنجرتها لكنها ترفض المرور، فتحت دفترها، وكتبت بخط مرتجف:

"لقد خذلتني يدٌ كنت أظنها بابي إلى الحياة."

لم تقلها بصوت مسموع، لكنها شعرت أن الجملة كانت أعلى من أي صراخ داخلي.

الفصل السادس – "انعكاسات"

في أحد الأيام، كانت تتجول في حي قديم شبه مهجور، توقفت أمام محل مغلق منذ سنوات، لفت انتباهها مرآة كبيرة متربة خلف الزجاج المحطم، دفعتها رغبة غريبة للدخول، المكان كان مليئًا بالغبار، ورائحة الزمن القديم تخنق الهواء.

وقفت أمام المرآة، ومسحت غبارها بيدها. للمرة الأولى، رأت انعكاسًا حقيقيًا لنفسها... بلا أقنعة. همست لنفسها:

"أنا لست قوية كما أُظهر... ولا ضعيفة كما أعتقد."

حين مالت قليلًا، لاحظت ورقة صغيرة ملصقة على ظهر المرآة، مكتوب عليها:

"كل ما رأيته فيك... أنا كتبته."

الفصل السابع – "كلمات لا تموت"

منذ تلك الليلة أمام المرآة، بدأت الكلمات تطارد "جمرة" حتى في نومها، لم تعد أحلامها مجرد صور مبعثرة، بل صارت نصوصًا مكتوبة على جدران الحلم، جمل قصيرة لكنها مشحونة بالحقيقة. كانت الجملة الأكثر تكرارًا:

"الجمرة لا تختار أن تشتعل، لكنها ترفض أن تنطفئ."

في أحد الأحلام، رأت طفلة صغيرة تجلس على أرضية غرفة بيضاء، شعرها مبلل ووجهها يشبهها بشكل مخيف، كانت الطفلة تمسك الدفتر الذي

وجدته في الشارع، وتقلب صفحاته ببطء، ثم رفعت رأسها وحدقت في "جمرة" بعينين ثابتتين، وقالت:

"كتبتِ عني... والآن دوري."

استيقظت وهي تشعر أن الطفلة لم تكن مجرد وهم، بل جزء منها عاد ليطالب بحقه في الحكاية.

الفصل الثامن – "أصوات"

بدأت الأصوات تتسلل إلى حياتها، في البداية كانت همسات خافتة، كلمات متقطعة، ثم صارت أكثر وضوحًا، لكنها لم تكن أصواتًا غريبة، بل كانت أصواتًا مألوفة، وكأنها محفوظة في أعماق ذاكرتها منذ زمن بعيد.

في إحدى الليالي، بينما كانت تحاول التركيز على كتابة نص جديد، سمعت صوت والدتها، دافئًا وموجعًا في آن واحد، يقول:

"خلف كل ابتسامة منكِ، كنت أرى حريقًا لا ينطفئ."

لم تكن والدتها في الغرفة، ولا حتى في المدينة، لكن الصوت كان حقيقيًا لدرجة أنها نظرت حولها تبحث عنها.

الفصل التاسع – "رائحة الاحتراق"

في مساء ثقيل، وبينما كانت وحدها في شقتها، تسللت إلى أنفها رائحة احتراق واضحة، قامت بفحص المطبخ، الأسلاك، النوافذ... لكن لم تجد شيئًا، شعرت بالخوف يلتف حولها، حتى عادت إلى مكتبها، وهناك كان الدفتر.

إحدى صفحاته احترقت من الأطراف، والدخان ما زال يتصاعد منها ببطء، على الصفحة كانت مكتوبة عبارة بخط مختلف عن بقية الصفحات:

"اقتربتِ."

الفصل العاشر – "رقم مجهول"

رنَّ هاتفها فجأة، ولم يظهر على الشاشة أي رقم، فقط عبارة: "مكالمة من الماضي."

ترددت، لكن الفضول غلبها، رفعت الهاتف إلى أذنها، فسمعت أنفاسًا مختنقة، مألوفة جدًا... كانت أنفاسها هي، كما كانت قبل عشر سنوات، مذعورة، متقطعة، تبحث عن مخرج من غرفة بلا أبواب.

أغلقت الهاتف، لكنها شعرت أن شيئًا منها ظل عالقًا على الطرف الآخر من الخط.

الفصل الحادي عشر – "بيت النوافذ المغلقة"

قررت زيارة منزل طفولتها، الحديقة كانت مهملة، والجدران شاحبة اللون، كل النوافذ كانت مغلقة بإحكام، إلا نافذة واحدة مفتوحة نحو الداخل، وكأنها تدعوها للدخول.

تقدمت بحذر، وعبرت الممر المؤدي إلى غرفتها القديمة، كانت الغرفة كما تركتها، لكنها تحمل إحساسًا غريبًا بالانتظار، على السرير كان هناك دفتر آخر، مختلف عن الأول، وعلى غلافه عبارة واحدة:

"ما دمتِ تكتبين، أنا حيّ."

الفصل الثاني عشر – "نقطة تحول"

منذ ذلك اليوم، أصبحت "جمرة" تكتب كل صباح، لكن ما يخرج على الورق لم يكن يشبه أسلوبها. الكلمات تنساب من أصابعها بسرعة، وكأنها آلة تكتب نيابة عن عقلها.

بدأت تتساءل: هل ما زالت هذه أفكارها؟ أم أن شيئًا أو أحدًا آخر يكتب من خلالها؟

فكرة أن هناك من يسكنها لم تعد مجازًا، بل احتمالًا حقيقيًا.

الفصل الثالث عشر – "خلف القناع"

كانت الأمسية الشعرية تتنفس بهدوء، والمكان يسبح في ضوء أصفر باهت ينساب من مصابيح قديمة معلقة في السقف، جلست "جمرة" في الصفوف الوسطى، تحيط بها همسات الحاضرين ورائحة القهوة السوداء الممزوجة بدخان السجائر، عيناها تتنقلان بين المنصة والوجوه الغريبة، وكأنها تبحث عن شيء لم تدرك بعد أنها تبحث عنه.

صعد القراء واحدًا تلو الآخر، تتشابه الكلمات وتتشابك الأصوات... حتى ارتفع صوت جديد، خافت في بدايته، لكنه كان يحمل نبرة مألوفة، موجعة. رفعت "جمرة" رأسها، فرأت فتاة مجهولة الملامح، ملامحها نصف مخبأة خلف قناع أسود بسيط، ويدها ترتجف وهي تمسك الأوراق.

بدأت الفتاة في قراءة نص... نص تعرفه "جمرة" جيدًا، أكثر مما تعرف ملامح وجهها في المرآة. كل كلمة كانت كجرح قديم يُفتح من جديد، كان ذلك نصها، الذي لم يرَ النور قط، لم يغادر دفترها المخفي في درجها المغلق بالمفتاح.

شعرت بأنفاسها تتسارع، وبأن الغرفة ضاقت فجأة حتى كادت تخنقها.

وحين انتهت الفتاة من القراءة، لم تصفق "جمرة" كما فعل الآخرون، كانت قد نهضت بالفعل، تدفع بين الأكتاف، تحاول اللحاق بها قبل أن تتبخر في الزحام، كلما اقتربت منها، بدت الفتاة وكأنها تبتعد أكثر، حتى غابت بين الأجساد والممرات الضيقة.

عادت "جمرة" إلى مقعدها، قلبها يدق بعنف. لكن المقعد لم يكن كما تركته، هناك، على الكرسي، كانت ورقة صغيرة مطوية بعناية، كأنها وُضعت للتو، فتحتها بيد مرتجفة، فقرأت بخطٍ مألوف:

"أنا أنتِ... عندما كنتِ صادقة."

تجمدت في مكانها، والهمسات حولها تحولت إلى طنين بعيد، كأن كل شيء تلاشى إلا تلك الجملة... وتلك الفتاة التي ربما لم تكن غريبة تمامًا.

الفصل الرابع عشر — "المفتاح"

كان الغبار يتطاير في الهواء كضباب رمادي، يرقص في خيوط الضوء المتسللة من نافذة ضيقة نصف مكسورة، كانت "جمرة" تنحني داخل خزانة جدتها الراحلة، تزيح الملابس القديمة التي فقدت ألوانها ورائحتها الأصلية، وتلامس بأصابعها نسيجًا يحمل برودة الزمن، كل قطعة كانت تحمل ذكرى، أو على الأقل ظل ذكرى.

في زاوية بعيدة، خلف أكوام من الأقمشة المهترئة، لمحت شيئًا صغيرًا، مغطى بطبقة كثيفة من الغبار، كأنه كان ينتظر أن يُكتشف، أخرجته ببطء، فكان صندوقًا خشبيًا داكن اللون، نقش على غطائه شكل غريب يشبه تداخل دائرتين، تتوسطهما نقطة محفورة بدقة.

فتحت الصندوق، فوجدت داخله مفتاحًا معدنيًا صغيرًا، لامعًا بشكل غريب رغم الغبار الذي يحيط به.

كان شكله مختلفًا عن أي مفتاح رأته من قبل، أسنانه منحنية بطريقة غير مألوفة، وكأنها صممت لباب لا يشبه أي باب آخر، إلى جانب المفتاح، كانت هناك بطاقة ورقية صفراء، حوافها مهترئة، كُتبت عليها عبارة قصيرة بخط يد قديم:

"لما سيُفتح قريبًا."

ظلت تحدق في الكلمات طويلًا، تحاول أن تفك لغزها، لكن المعنى ظل بعيدًا، يختبئ خلف ستار من الغموض، أدارت المفتاح بين أصابعها، شعرت ببرودته تتسرب إلى جلدها، وكأنها تمسك قطعة من الشتاء، حاولت أن تتذكر إن كان في بيت الجدة أو في حياتها كلها باب مجهول، لكن ذهنها لم يسعفها.

وأدركت، بحدس لا تعرف من أين جاء، أن الوقت لم يحن بعد... وأن هذا المفتاح ليس مجرد أداة لفتح قفل، بل وعد لفتح شيء أعمق بكثير.

الفصل الخامس عشر – "ليلة بلا حبر"

كانت الليلة خانقة، هواء الغرفة ثقيل كأنه مملوء بغبار غير مرئي، جلست "جمرة" أمام مكتبها الخشبي، أوراق متناثرة حولها، وقلم وحيد في منتصف الطاولة، حاولت أن تبدأ... أن تكتب أي شيء، ولو جملة مبتورة، لكن الكلمات رفضت الخروج، وكأنها محبوسة خلف جدار زجاجي لا تستطيع كسره.

رفعت القلم، لكن سنّه كان جافًا، لا حبر فيه، جربت قلمًا آخر، فوجدته ميتًا هو الآخر، الورق أمامها بدا كأنه يشيح بوجهه عنها، يرفض أن يستقبل حروفها، وكأن الورق نفسه يعرف أن ما ستكتبه لن يكون صادقًا بما يكفي.

فجأة، انطفأت الكهرباء بلا سابق إنذار، وابتلع الظلام الغرفة، في البداية، لم تسمع سوى دقات قلبها، ثم بدأ الصمت يأخذ شكلاً مريبًا، وكأنه ليس صمتًا بل إنصاتًا من شيء آخر في الظلام.

مرت ثوانٍ قبل أن تعتاد عيناها على العتمة، وحين فعلت، لاحظت شيئًا لم يكن هناك من قبل: على الجدار المقابل لمكتبها، ظهرت عبارة مضيئة، مكتوبة بخط أبيض ناصع، كأنها محفورة من الضوء نفسه:

"حين لا تكتبين، أُطفأ أنا."

تجمدت في مكانها، لا تعرف هل العبارة كانت موجهة لها من شيء تعرفه، أم من شيء لا تريد أن تعرفه، لم تشعر ببرودة كهذه من قبل، وكأن الضوء على الجدار لم يكن يضيء الغرفة... بل يطفئ شيئًا داخلها.

الفصل السادس عشر – "الظل"

منذ تلك الليلة، تغير شيء لم تستطع "جمرة" تسميته، بدأت تلاحظ وجود ظل غريب يرافقها... في البداية ظننته خداعًا بصريًا أو انعكاسًا عابرًا، لكن تكراره صار يثقل روحها.

كانت تراه أحيانًا على الرصيف المقابل، يخطو معها بنفس الإيقاع، وأحيانًا في انعكاس زجاج النوافذ وهي تمر مسرعة، لم يكن ظلًا عادياً؛ كان أكثر وضوحًا من أن يكون وهماً، وأكثر صمتًا من أن يكون إنسانًا حقيقيًا، والأسوأ... أنه كان يشبهها تمامًا.

لكن الملامح التي يعكسها لم تكن ملامحها الحالية؛ كانت ملامح قديمة، وجهها حين كانت أصغر... وعيناها تحملان تلك النظرة التي تخلت عنها منذ زمن، نظرة ممتلئة بالصدق الذي تعلمت أن تخفيه.

في الليل، لم تكن رؤيته تتوقف، صار يتسلل إلى أحلامها، يجلس على حافة سريرها أو يقف في زاوية الغرفة، يراقبها بصمت، كان حضوره لا يترك أثرًا على الأرض أو على الأشياء، لكنه يترك أثرًا في قلبها، أثرًا يشبه جرحًا لم يُفتح بعد.

وبينما كانت تحاول تجاهله في النهار، كانت تدرك في أعماقها أن الظل لا يتبعها فقط... بل يسبقها أحيانًا، كأنه يعرف الطريق الذي ستسلكه قبل أن تخطو.

الفصل السابع عشر – "زجاج"

كان السوق في ذلك اليوم أشبه بمدينة صغيرة داخل مدينة، يمتد في أزقة ضيقة تتفرع كشبكة عنكبوت، يلتف بعضها حول بعض حتى يكاد المار يضيع إن لم يعرف طريقه.

أصوات الباعة كانت ترتفع وتهبط مثل موج البحر، تختلط برنين الأواني النحاسية وصوت الملاعق وهي تضرب جوانب القدور. رائحة التوابل الثقيلة — الكمون، الفلفل الأسود، الهيل — كانت تشق طريقها إلى رئتي "جمرة"، تختلط بعبق الخبز المخبوز على الحطب، ودخان اللحم المشوي الذي يتسرب من المحلات الصغيرة.

كانت تسير ببطء، يديها في جيبي معطفها الداكن، شعرها يتطاير بفعل نسيم بارد يتسلل من بين الأزقة، عيناها لا تركزان على شيء بعينه، بل تتنقلان بين الأقمشة المعلقة، وألوان الفاكهة الزاهية، والأيدي التي تمتد لتساوم على الأسعار، رغم كل الصخب حولها، شعرت أن هناك فراغًا يحيط بها، مساحة من الصمت داخل الضوضاء.

حينها، ظهر الرجل، لم يكن قادمًا من اتجاه واضح، وكأنه انبثق من الفراغ نفسه، وقف أمامها فجأة، فاصطدمت عيناه بعينيها، لم تكن عيناه عاديّتين؛ كانتا عميقتين لدرجة مخيفة، وكأنهما تعرفان عنها أكثر مما تعرفه هي عن نفسها، لم ينطق بكلمة، ولم يمد يده في مصافحة، بل أخرج من جيب معطفه شيئًا صغيرًا، ووضعه بين يديها.

كانت مرآة. صغيرة، لكن ثقيلة على غير المتوقع، إطارها الخشبي مكسور من زاوية، وتشققت حوافه كما تتشقق أرض عطشى، على الخشب حفر غامض، ربما حروف أو رموز لم تتضح، سطحها الزجاجي كان نظيفًا على نحو مريب، يعكس الضوء حتى في ظل هذا النهار الغائم.

ظل الرجل يبتسم، ابتسامة جامدة بلا دفء ولا عدائية، كمن يسلّم أمانة لطالما انتظر أن تصل إلى صاحبها.

ثم، وبخطوات هادئة، استدار ودخل بين الجموع، حاولت أن تتبعه، لكن كلما التفتت لترى، اختفى، وكأن السوق ابتلعه أو كأنه لم يوجد قط.

وقفت "جمرة" في مكانها، شعرت أن الأصوات من حولها بدأت تتراجع، كأن السوق كله ابتعد عنها مترًا مترًا، رفعت المرآة أمام وجهها، متوقعة أن ترى انعكاسها — عينيها المرهقتين، شعرها المتشابك، ملامحها الحالية، لكنها لم تر نفسها كما هي الآن...

كان الزجاج يعرض مشاهد تتحرك ببطء شديد، مشاهد لم تكن يومًا جزءًا من حياتها، لكنها أيقنت أنها تعرفها، ظهرت غرفة ضيقة الجدران، لونها أخضر باهت، بها نافذة صغيرة تُطل على سماء رمادية ملبدة بالغيوم، أطفال يركضون في ممر مظلم، أصوات أقدامهم تقترب حتى شعرت بأنها ستسمع أنفاسهم لو مدت رأسها، يد أنثوية تمسك قلمًا وتكتب في دفتر جلده متآكل، حروفها منحنية كما لو كانت تخشى أن يقرأها أحد.

ثم رأته... ظل، أو ربما رجل، يجلس في زاوية مظلمة، نصف وجهه مخفي بقبعة قديمة، لكن عينه الوحيدة الظاهرة كانت تحدق فيها مباشرة، كما لو كان ينظر من خلال الزجاج إليها، لا إلى الشخص الذي يحمل المرآة في المشهد.

بدأت الصور تتبدل بسرعة أكبر: شرفة تطل على بحر هائج، باب معدني صدئ عليه نفس النقش الموجود على إطار المرآة، وجه فتاة مقنّعة تمشي بين حشود لا تلتفت لها... كلها تتوالى ثم تتلاشى في الضباب.

شعرت "جمرة" بدوار، وكأنها كانت هناك، داخل الصور، تشم روائحها وتسمع أصواتها، قلبها كان يدق بعنف، يدها ترتجف وهي تمسك بالمرآة، لكن لم تستطع أن تخفضها، كأن قوة خفية تجبرها على المشاهدة.

وحين أسقطت المرآة أخيرًا، عادت أصوات السوق دفعة واحدة، قوية وصاخبة، لكنها بدت بعيدة... بعيدة جدًا، وكأنها ليست في المكان نفسه، حين نظرت حولها، لم يكن هناك أثر للرجل... ولا لأي شخص يوليها اهتمامًا، وكأن اللحظة كلها لم تحدث إلا في عالم آخر.

الفصل الثامن عشر – "رسالة إلى الماضي"

في تلك الليلة، كان كل شيء في الغرفة ساكنًا إلا قلبها، كانت "جمرة" تشعر وكأن العالم من حولها يتقلص ببطء، يضغط على أنفاسها، يتركها وجهاً لوجه أمام صمت كثيف لا تعرف كيف تتجاوزه، جلست إلى مكتبها الخشبي، الذي يحمل خدوشًا وندوبًا من سنوات طويلة، وفي الضوء الخافت الذي تناثر من مصباح صغير، بدا الخشب أغمق، وكأنه يخفي في عروقه أسرارًا لم تُكشف بعد.

أمامها ورقة بيضاء نقية، وقلم حبر أسود قديم، ثقيل في يدها كأنه يحمل وزن السنوات التي مرت، كانت تمسكه بتردد، كأنها تخشى أن الكلمة الأولى التي ستكتبها قد تفتح بابًا لا يمكن إغلاقه. بعد لحظة صمت، بدأت تكتب...

لم تكن رسالة عادية، ولا اعترافًا تريد أن يقرأه أحد، كانت موجهة لشخص لن يطرق بابها أبدًا... طفلة كانت هي، قبل أن يتسخ قلبها بالخوف، وقبل أن تتعلم أن تبتلع الكلام، كل جملة كانت تنساب

ببطء، مشبعة بذكريات قديمة، بعضها حقيقي وبعضها لم تعد متأكدة إن كان قد حدث حقًا.

"لا تصدقي كل الوجوه التي تبتسم لكِ..."

"لا تركضي خلف الضوء، فقد يقودك إلى ظلمة أعمق..."

"سيأتي يوم، ستسمعين فيه صوتك من فم شخص آخر، لا تعرفين كيف وصل إليه..."

كلما كتبت، شعرت أن المسافة بينها وبين تلك الطفلة تقصر، وكأنها على وشك أن تراها جالسة أمامها، تستمع بصمت، وعيناها تلمعان بأسئلة لم تُسأل، كانت يدها ترتجف، ليس خوفًا من الماضي، بل من المستقبل الذي كانت تحاول أن تحذره دون أن تعرف ملامحه.

أنهت الرسالة بتوقيعها المعتاد، ووضعتها داخل دفتر قديم من أيام المدرسة، أوراقه مصفرة وحوافه مهترئة، والسطور على صفحاته لا تزال تحمل بقايا حبرها القديم، أغلقت الدفتر وأعادته إلى درج

مكتبها، ثم أغلقت الدرج بالمفتاح وأدارته مرتين، كمن يدفن شيئًا ثم يضع فوقه حجراً ثقيلاً.

مرت الأيام... سبعة بالضبط، لم تفكر في الرسالة، حتى جاء ذلك الصباح البارد، استيقظت على شعور غريب، إحساس بأنها لم تكن وحدها أثناء النوم، دخلت مكتبها، وكانت أشعة الشمس الخفيفة تتسلل عبر الستائر، تغطي الطاولة بنور باهت، هناك، وسط الطاولة الخشبية، كانت الورقة... نفس الورقة.

كانت مطوية بعناية، لكن شيئًا ما في طياتها لم يكن كما تركته. جلست ببطء، وكأن اقترابها منها قد يوقظ شيئًا، فتحت الطية، فرأت كلماتها نفسها، بخطها نفسه، بنفس الأخطاء الصغيرة التي تعرفها. لكن تحت توقيعها، كان هناك توقيع آخر... بخط مختلف، أكثر انسيابية، وكأنه كُتب على عجل لكنه بقي واضحًا:

"منكِ، في زمن لم تعيشيه بعد."

شعرت بتيار بارد يمر في عمودها الفقري، وكأن الغرفة اتسعت فجأة لشيء غير مرئي، رفعت عينيها عن الورقة، تحدق في زوايا الغرفة، نصف متوقعة أن تجد شخصًا واقفًا هناك، لكن الغرفة كانت كما هي... أو على الأقل، بدت كذلك.

بقيت تحدق في التوقيع طويلًا، حتى بدأت تتساءل: هل أرسلت هي الرسالة بالفعل إلى الماضي؟ أم أن شخصًا ما أعادها إليها... من المستقبل؟

الفصل التاسع عشر – "اختفاء"

كان غيابه كصوت انقطع فجأة من أغنية لم تكتمل، استيقظت "جمرة" في ذلك الصباح على ضوء رمادي يتسلل عبر ستائر نافذتها، وأول ما فعلته — بلا وعي — هو فتح هاتفها، الإشعارات كانت كثيرة، لكنها لم تحمل اسمه، حاولت الاتصال به، فسمعت الرسالة الصوتية الباردة لشركة الاتصالات: "الرقم المطلوب غير متاح حاليًا."

في البداية، حاولت أن تقنع نفسها أنه مجرد انشغال، أو ربما رغبة منه في الابتعاد قليلًا، لكن مع مرور الساعات، بدأ القلق يتسلل مثل دخان بارد من أسفل الباب، عند المساء، كان القلق قد تحول إلى يقين ثقيل: هناك خطب ما.

بدأت جولتها في البحث، زارت المقهى الصغير على زاوية الشارع، حيث كان يجلس دائمًا على الطاولة القريبة من النافذة، يحتسي قهوته السوداء ويمسح نظارته كل بضع دقائق.

النادل لم يره منذ أكثر من أسبوع، انتقلت إلى المكتبة القديمة، تلك التي كان يعتبرها ملاذه، حيث الكتب المصفرة برائحة الزمن، صاحب المكتبة هز رأسه نافيًا، لكنه بدا وكأنه يريد أن يقول شيئًا ثم تراجع، حتى الحديقة العامة، حيث مقعده المفضل المطل على النافورة، وجدته خاليًا، كأن أحدًا لم يجلس عليه من قبل.

في طريق العودة، لم تستطع التخلص من الإحساس بأن أحدًا يراقبها، نظرت حولها أكثر من مرة، لترى وجوهًا عابرة، لكن لا أحد كان يثبت عينيه عليها بما يكفي.

عند منتصف الليل، جلست في غرفتها، أخرجت صندوقًا صغيرًا من تحت سريرها، جمعت فيه كل ما يخصه: كتاب كان قد أعارها إياه ولا يزال يحمل ملاحظاته بخط يده على الهامش، صورة التقطاها في أحد الشتاءات الباردة، وورقة صغيرة عليها عبارة كتبها لها في يوم عابر: "لا تصدقي كل الأبواب التي تُفتح بسهولة."

حين فتحت هاتفها للمرة الأخيرة قبل أن تستسلم للنوم، انتفض قلبها، هناك رسالة جديدة منه، مؤرخة بيوم اختفائه، لكنها لم تكن موجودة في الصباح، الرسالة كانت قصيرة، لكنها حملت برودًا غريبًا:

"اقتربي أكثر من جمرك، ستفهمين."

بقيت تحدق في الكلمات، تشعر أن كل حرف منها مشبع بمعنى مخفي، وكأنها شفرة تحتاج إلى فك، الكلمة التي اخترقت عقلها كانت "جمركِ"، لم يكن يقصد اسمها فحسب... بل شيئًا أعمق، نقطة

مركزية في حياتها، في ماضيها، أو ربما في مستقبلها.

شعرت بتيار بارد يمر في عمودها الفقري، وأقسمت أنها سمعت، وسط سكون الغرفة، وقع خطوات بطيئة تمر قرب بابها، ثم تتوقف. لم تجرؤ على فتح الباب.

ذلك الليل، لم يغمض لها جفن، كانت متأكدة أن اختفائه لم يكن صدفة ولا هروبًا، بل خطوة محسوبة في لعبة أكبر منها بكثير، لعبة لا تعرف قواعدها، لكنها بدأت تشعر أن كل ما حدث لها في الأسابيع الأخيرة — الفتاة المقنّعة، المفتاح، الظل، المرآة، الرسالة — ليس سوى بدايتها.

الفصل العشرون – "الأثر الأول"

كانت الرسالة ما تزال مضاءة على شاشة هاتفها، تتوهج وسط العتمة، كأنها لم تُكتب قبل أسبوع، بل قبل دقائق فقط. كانت الكلمات قصيرة، لكنها تحمل ثقلًا غريبًا:

"اقتربي أكثر من جمرك، ستفهمين."

كلما أعادت قراءتها، شعرت أن الحروف تتنفس، تتغير أماكنها، وتكوّن معانٍ مختلفة كل مرة، وكأن الرسالة حية تراقبها، حاولت إغلاق الهاتف، لكن شيئًا ما جعلها تعيد النظر إليها مرارًا، حتى غلبها الإرهاق دون أن تنام.

مع أول خيط للفجر، قامت من سريرها كأن قوة خفية دفعتها، لم تأخذ سوى حقيبتها، وخرجت إلى الشارع شبه الخالي، الهواء كان بارداً، مشبعاً برائحة المطر القديم، وصوت خطواتها على الأرصفة المبللة بدا أعلى من المعتاد.

توجهت أولاً إلى بيته، العمارة كانت صامتة بشكل يثير القشعريرة، حتى النوافذ بدت وكأنها تراقبها، وصلت إلى بابه، ولاحظت شيئًا غريبًا: على مقبض الباب، كانت هناك ورقة مطوية بإحكام، مبللة بطرفها بفعل الندى.

فتحتها ببطء، لتجد بداخلها خريطة مرسومة باليد، بخطوط مرتعشة، وكأنها رُسمت في الظلام أو تحت ضغط، لم يكن هناك اسم شارع أو أي ملاحظة، فقط علامة "X" حمراء في زاوية الخريطة، مرسومة بقلم أحمر باهت، بجانبها دائرة صغيرة وعلامة أشبه بسهم مائل.

بدأت تسير باتجاه النقطة المجهولة، لكن مع كل خطوة، شعرت أن عيوناً تراقبه، كانت هناك ظلال تتحرك عند أطراف بصرها، تختفي حين تلتفت.

وعند إحدى الزوايا، لمحت رجلاً يرتدي معطفاً طويلاً وقبعة سوداء، يراقبها من بعيد، ملامحه غارقة في الظل، لكنه كان ثابتًا تمامًا، وكأنه ينتظر أن تتحرك.

حين توقفت، توقف، وحين أسرعت، أسرع، نبض قلبها بدأ يتسارع، لكنها حاولت تجاهله، وعندما التفتت فجأة نحوه، لم تجده... كان الشارع خالياً تماماً، وكأن الأرض ابتلعته.

الخريطة قادتها إلى زقاق ضيق، جدرانه مغطاة بطبقات من الرطوبة، وأصوات القطرات تتساقط من أسلاك كهربائية متدلية، في نهايته، كان هناك

باب معدني صدئ، نصف مفتوح. الظلام خلفه بدا ثقيلاً، مثل ستارة سوداء لا تسمح حتى بمرور الهواء.

وقفت أمامه، تتردد، قلبها كان يصرخ ألا تدخل، لكن عقلها كان مدفوعاً بفضول جارح، دفعت الباب ببطء، فصدر عنه صرير طويل كأنه يئن.

داخل الغرفة، كان هناك طاولة خشبية قديمة، في وسطها ظرف أسود مغلق، الغرفة خالية إلا من رائحة عتيقة تشبه رائحة الكتب القديمة الممزوجة بالدخان، التقطت الظرف، فتحته، لتجد بداخله صورة قديمة بالأبيض والأسود، باهتة الأطراف.

تجمدت، الصورة كانت لخمسة أشخاص، يقفون أمام منزل قديم، أحدهم كان صديقها المفقود، لكن ملامحه أصغر بعشر سنوات على الأقل، أما ما جعل أنفاسها تنقطع... فهو المرأة التي تقف في طرف الصورة، كانت تشبهها بشكل مذهل، نفس الوجه، نفس العيون، حتى الشامة الصغيرة أسفل شفتها اليسرى، لكن المرأة كانت ترتدي ثوباً من زمن آخر، وزين شعرها مشبك فضي قديم.

بينما تحدق في الصورة، لاحظت أن إحدى النوافذ في خلفيتها كان فيها ظل... ظل لرجل يقف في الداخل، يراقب المجموعة.

لم يمهلها الظلام وقتًا أطول، إذ فجأة، انطفأ الضوء الخافت الذي كان يتسلل من الباب، شعرت ببرودة غريبة خلفها، مثل نفس طويل يلامس رقبتها، لم تتحرك، جسدها تجمد بالكامل، قبل أن تسمع صوتًا منخفضًا جداً، بالكاد يمكن تمييزه، لكنه كان واضحًا بما يكفي ليزرع الرعب في عروقها:

"لقد بدأتِ تقتربين... لكنك لن تحبي ما ستجدينه."

الفصل الحادي والعشرون – "خطوط بين الظلال"

لم تجرؤ على الالتفات، لكنها شعرت بثقل نظراته على ظهرها، وكأن شيئًا غير مرئي يحاول سحب أنفاسها من بين أضلاعها، كانت يداها تتعرقان رغم

برودة الجو، وأصابعها تمسك بالصورة بقوة حتى شعرت أن عظامها قد تتكسر من شدة الضغط.

ثم... فجأة، انقطع كل شيء، لا صوت، لا برودة، لا إحساس بوجوده، وكأن الغرفة لفظت الكائن الذي كان يراقبها، إلتفتت بسرعة، فلم تجد سوى العتمة الساكنة، تتسلل إلى رئتيها كدخان كثيف.

مدت يدها نحو جيبها، وضعت الصورة بعناية، ثم أعادت نظرها إلى الطاولة، بجانب الظرف الذي وجدته، لفت انتباهها خدش دقيق في الخشب، بالكاد يُرى، انحنت أكثر، عيناها تحدقان حتى اتضحت الكلمات المحفورة بخط مرتجف:

"الباب ليس هنا."

عبارة قصيرة... لكنها أثقل من أي جملة قرأتها في حياتها، الباب؟ أي باب؟ ولماذا يخبرها أحدهم أنه ليس هنا وهي تقف أمام باب معدني فعلي؟

لم تمهلها الأسئلة كثيرًا، إذ بدأ صوت غريب ينساب في أذنها، خطوات، لكنها لم تكن خطوات طبيعية، بل منتظمة، ثقيلة، وكأنها لشخص يجر قدميه جراً، يقترب ببطء متعمد، كمن يعرف أنها تسمعه، الصوت يقترب... ثم يتوقف مباشرة خلف الباب المعدني.

شعرت بدمها يتجمد، أمسكت مقبض الباب بخفة، مستعدة لدفعه أو شده، لكن الباب بدأ يتحرك وحده... ببطء شديد. ومع كل سنتيمتر ينفتح، كانت الظلمة خلفه تزداد عمقًا، وكأنها تبتلع الضوء المحيط.

فجأة، من تلك الفتحة السوداء، انساب شيء على الأرض، لم يكن يدًا ولا قدماً... بل حبل أسود سميك، يتحرك مثل أفعى، يزحف ببطء نحوها، تاركًا خلفه أثرًا لزجًا.

تراجعت للخلف حتى اصطدمت بالجدار البارد، قلبها يدق بعنف، تبحث بعينيها عن أي شيء تستخدمه كسلاح، لكن قبل أن تفعل، توقف الحبل على بعد خطوة منها، وكأن أحدهم أمره بالتوقف،

لحظة صمت قصيرة... ثم انكمش بسرعة غير طبيعية، عائداً إلى الظلام من حيث جاء، تاركًا خلفه شيئًا صغيرًا.

التقطته بحذر... كان مفتاحًا معدنيًا أسود، ثقيلًا على غير المعتاد، وعلى رأسه محفورة نفس العلامة الحمراء التي رأتها على الخريطة القديمة.

رفعت رأسها، فرأت على الجدار المقابل خطوطًا باهتة، كأنها رسمت بطباشير منذ زمن بعيد، اقتربت، ومسحت الغبار عنها بيدها، لتظهر أمامها خارطة أخرى، لكنها ليست لأي مكان تعرفه، في وسطها علامة "X" كبيرة، وبجانبها رسم بدائي لبوابة يعلوها قفل على شكل عين بشرية.

عندما مدت يدها ولمست الرسم، شعرت بحرارة غريبة تنبعث من الجدار، حرارة نابضة كأنها قادمة من قلب حي، وقبل أن تبتعد، انطفأت الأصوات كلها، حتى دقات قلبها صارت واهنة، وسمعت في أذنها مباشرة همسًا عميقًا، أكثر ثباتًا من أي صوت سمعته من قبل:

"لقد وجدتِ الأثر الثاني... لكن الطريق إلى الباب سيأخذ منك أكثر مما تملكين."

تراجعت مذعورة، لكن عينيها سقطتا على الأرض، حيث لاحظت شيئًا جديدًا لم يكن موجودًا قبل قليل. آثار أقدام... لكنها لم تكن لأحذية عادية، بل أشبه بآثار مخالب طويلة، تمتد من تحت الباب المعدني نحو أركان الغرفة، ثم تتلاشى في الهواء.

وفي الزاوية، بين الظل والحائط، كان هناك شيء آخر... ورقة صغيرة مطوية بإتقان، فتحتها ببطء، ووجدت سطرًا واحدًا مكتوبًا بخط يدها هي، لكن لم يسبق أن كتبته:

"إذا وجدتِ هذا، لا تفتحي الباب الثالث."

الورقة سقطت من يدها، وبدأت تفكر... منذ متى صار لديها أكثر من باب واحد لتخافه؟

الفصل الثاني والعشرون – "الأثر الثالث"

لم يكن الليل صامتًا هذه المرة، بل كان يهمس لها بأصوات لم تعرف مصدرها، جلست على طرف السرير، المفتاح الأسود بين أصابعها، تتأمله كما لو كان قطعة من الليل نفسه، كان ثقيلاً على غير العادة، كأن المعدن يختزن داخله سرًا أكبر من طاقتها على الاحتمال، كلما قلبته في يدها، شعرت بِذبذبات باردة تتسرب إلى عروقها، كأن جسدها يتحول إلى هوائي يلتقط رسائل من زمن آخر.

مع بزوغ أول خيط من الفجر، لم تستطع المقاومة أكثر، عادت إلى الغرفة المهجورة التي اكتشفت فيها الخريطة على الجدار، الخطوط البيضاء التي كانت واضحة سابقًا أصبحت باهتة، وكأن يدًا خفية تحاول محوها، مدت يدها إلى موضع علامة "X" التي رسمت عليها بالأمس، لكنها لم تشعر بالحرارة كما توقعت... بل برودة حادة، لاذعة، جعلتها تتراجع خطوة إلى الوراء.

ثم جاء الصوت... ليس صوتًا بشريًا، ولا حتى همسًا، كان أشبه باحتكاك معدن قديم وهو ينزلق،

التفتت بسرعة، ورأت في وسط الأرضية البلاطة الحجرية الكبيرة تتحرك ببطء، كما لو كان شيئًا من الأعماق يدفعها.

انحنت ببطء، وكل عضلة في جسدها متوترة، ثم أزاحت البلاطة بحذر، تحتها كان هناك فتحة مظلمة، يبتلعها السواد كفم جائع، مدّت رأسها قليلًا، فرأت سلمًا حديديًا يهبط في عمق لا نهاية له، مبللًا ببقع صدأ، كأن الزمن نفسه قد نسيه.

"إن لم تنزلي الآن... فلن تعودي أبدًا."

كان الصوت في رأسها واضحًا هذه المرة، لا يقبل الجدل، قلبها خفق بقوة، لكن أصابعها تشبثت بأعمدة السلم، وبدأت النزول.

كل خطوة كانت تبعدها أكثر عن العالم الذي تعرفه، الهواء يزداد برودة وثقلًا، والظلام يلتهمها ببطء، رائحة العفن والصدأ كانت خانقة، ومع كل نفس كانت تشعر أن صدرها يضيق أكثر.

بعد هبوط بدا وكأنه لن ينتهي، وصلت إلى أرضية حجرية رطبة، أمامها ممر ضيق، جدرانه مغطاة بنقوش لا تشبه أي كتابة عرفتها، دوائر متشابكة، عيون مفتوحة تحدق بها أينما التفتت، وخطوط منحنية تحكي قصة لم تفهمها... لكنها شعرت بها، وكأن عقلها يقرأ المعنى رغم أنها لم تر هذه اللغة من قبل، كانت الكلمات تتحدث عن "الباب الثالث" وعن كائن يُسمى الحارس.

الممر قادها إلى قاعة صغيرة، في وسطها منصة حجرية، وفوقها صندوق خشبي قديم، غطته طبقة كثيفة من الغبار، إقتربت منه بحذر، لاحظت أن أطرافه منقوش عليها نفس الرمز الأحمر الذي كان محفورًا على المفتاح.

وضعت المفتاح في القفل، عند دورانه، ارتجت الأرض تحت قدميها، والجدران أصدرت صوتًا عميقًا، كأنها تتنفس للمرة الأولى منذ قرون، فتحت الصندوق ببطء، وفي داخله وجدت قطعة زجاج داكن، لكن لم تكن جامدة بالكامل... كان بداخلها سائل يتماوج ببطء، وكأن داخله قلب ينبض أو كائن يراقبها.

ما إن لمست الزجاج، حتى اندفعت صورة في عقلها: غرفة ممتلئة بالمرايا، وفي وسطها يقف رجل بوجه مخفي بالكامل، لكنه يبتسم ابتسامة باردة، ثابتة، وكأنها كانت موجهة لها شخصيًا.

ارتجفت يدها، وأغلقت الصندوق بسرعة، لكن الوقت كان قد فات، من عمق الممر الذي جاءت منه، بدأ صوت آخر يقترب... خطوات ثقيلة، بطيئة، لكنها تحمل إيقاعًا منتظمًا كنبض قلب عملاق، ومع كل خطوة، كان الهواء يزداد برودة، والجدران ترتعش.

رفعت رأسها نحو المدخل، وهناك، في الظل، بدأ شكل ضخم يتكون. لم يكن بشريًا، بل أطول من أي رجل، وأعرض من أي باب، لمحت أطرافًا ملتوية تتحرك في الظلام، وعيونًا تلمع باللون نفسه الذي رأت على الرمز الأحمر.

لم يكن لها مفر...

لكن قبل أن تفعل أي شيء، توقفت الخطوات فجأة، وكأن الكائن شعر بوجودها لكنه لم يقرر بعد إن كان سيتقدم... أم ينتظر أن تخطو هي نحوه.

كان الصمت الآن أكثر رعبًا من الصوت.

الفصل الثالث والعشرون – "أنفاس في الظلام"

الظلام هنا لم يكن غيابًا للضوء، بل كائنًا حيًّا، يتنفس... ويستمع.

شعرت بأن الهواء حولها أصبح أثقل، وأن كل شهيق تصدره يتعارض مع إيقاع أنفاس أخرى... أعمق، وأبطأ، لكنها أقرب مما تتصور، العيون الحمراء التي كانت تلمع في عمق الممر لم تبتعد، لم تقترب كثيرًا أيضًا، لكنها كانت تراقبها بحدة وكأنها تدرس كل عضلة تتحرك في جسدها.

صوت معدني، بعيد لكنه واضح، تردد بين الجدران الحجرية:

خطوة... صمت... خطوة...

وكان لكل خطوة وزن يجعل الأرض تحس به، كأن الممر يشارك في تهديدها.

مدّت يدها نحو المفتاح العالق في قفل الصندوق الخشبي المغطى بالزجاج الداكن، أصابعها كانت ترتجف من البرد أو من الخوف، لم تعد متأكدة، لكن فجأة، اخترق رأسها صوت همس ثقيل... لم يصدر من فمٍ، بل من داخلها:

"إن أغلقتِ الباب الآن... لن تخرجي أبدًا."

توقف جسدها للحظة، وكأن الكلمات قيدت عضلاتها.

السائل الأسود خلف الزجاج بدأ يغلي، كأنه يغضب أو يفرح... لم تستطع أن تحدد، الدوامات داخله أخذت تدور بسرعة متزايدة، تصطدم بجدران الزجاج فتترك عليه شقوقًا دقيقة، كأن الصندوق نفسه بدأ يختنق.

وفجأة، شيء تحرك من قلب الظلام... ذراع طويلة ملتوية، مغطاة بما يشبه صفائح معدنية صدئة،

أطرافها حادة كأنها شفرات، مدّت أصابعها لتخدش الخشب قرب المفتاح، وكل خدش أصدر صوتًا معدنيًا مخيفًا، امتزج بصوت غليان السائل.

تراجعت خطوة للخلف، لكن الجدار خلفها كان باردًا وقاسيًا، حتى شعرت وكأن الحجر يلتصق بظهرها ليمسكها، حاولت أن تتحرك يمينًا، فلاحظت أن الممر نفسه أصبح أضيق مما كان، وكأن الجدران تنزلق نحوها ببطء، تحاصرها، تدفعها نحو الصندوق.

الصوت عاد... هذه المرة أوضح، وأقرب، وكأنه خلف أذنها مباشرة:

"أعيديه إلى مكانه... وإلا ستصبحين أنت الباب."

لم تفهم المعنى، لكن الكلمة الأخيرة كانت كالسكين في قلبها،

خفضت بصرها فرأت الظلال تتحرك تحت قدميها، ليست ثابتة، بل تنبض مثل سائل أسود حي، ببطء، ارتفعت لتلتف حول كاحليها، دافئة بشكل غريب، لكنها مشؤومة، وكأنها تريد أن تتذوق جسدها قبل أن تبتلعه.

صرخت، لكن صدى الصرخة ارتد في جمجمتها ولم يخرج إلى الهواء.

حين عادت بعينيها نحو الصندوق، كان الزجاج الداكن يهتز، ثم انشق ببطء، وصوت الانكسار كان أشبه بصوت عظم يُكسر، خرجت منه يد صغيرة... بشرية المظهر، لكن شاحبة، طويلة الأصابع، وأظافرها سوداء ولامعة كأنها مبللة بالقطران.

اليد تقدمت بثقة، أمسكت بمعصمها بقوة حديدية، وبرودتها اخترقت جلدها إلى العظم، أحست أن شيئًا ما يتدفق من تلك اليد إلى جسدها، يثقل قلبها ويجعل أنفاسها أبطأ.

في تلك اللحظة، تحرك الكائن في الظلام أخيرًا.

مع كل خطوة، ترددت سلاسل معدنية من حوله، تتأرجح وتتدلى منها أقفال صدئة، بعضها محفور عليه رموز لا تشبه أي لغة رأتها من قبل، رأسه كان مغطى بقناع حجري مشقوق من المنتصف، ومن خلال الشق انبثق وهج العيون الحمراء نفسها... لكنه هذه المرة أقوى، حاد كأنها سكاكين ضوء.

اقترب حتى صارت رائحته تملأ أنفها... مزيج من التراب الرطب والحديد القديم، مد يده الضخمة، التي كانت أكبر من وجهها، وكأنه سيغلق الصندوق عليها هي هذه المرة.

شعرت بيأس عارم، وفي لحظة غريزية، أمسكت بالمفتاح وسحبته بعنف من الصندوق.

فورًا، توقف وهج الزجاج، السائل الأسود تجمد في مكانه، اليد الصغيرة انسحبت بسرعة إلى الداخل، وانغلق الشق ببطء... لكن الظلال تحت قدميها ثارت، وانفجرت كأمواج عملاقة، وارتطمت بالجدران والسقف، حتى ابتلعت كل ضوء في المكان.

سقطت في فراغ أسود، لا جدران، لا أرض، فقط شعور بأنها تهوي إلى ما لا نهاية.

وفي اللحظة الأخيرة قبل أن يختفي وعيها، رأت عبر العتمة وجه الكائن خلف القناع الحجري... يبتسم، وكأن ما حدث لم يكن سوى بداية لعبة أكبر.

الفصل الرابع والعشرون – "الباب الثالث"

كان سقوطها لا يشبه أي سقوط عرفته من قبل، لم يكن سقوطًا في فراغ، بل كان كالسفر عبر أحشاء كائن ضخم يتنفس، حيث الجدران تلتمع برطوبة ساخنة، وتتحرك ببطء كما لو كانت عضلات تحاول ابتلاعها.

كانت تشعر أن الهواء من حولها ثقيل، محمل برائحة معدنية قوية، وكأنها تتنفس دمًا قديمًا.

الهمسات كانت تلاحقها، لكنها لم تعد أصواتًا منفصلة، بل صارت نسيجًا حيًا يحيط بها من كل اتجاه، كانت الكلمات تتسرب إلى عقلها مثل سم بطيء:

"أنتِ لم تختاري... لكنك خُلقتِ لهذا."

"كل الطرق تؤدي إلى هنا."

ارتطم جسدها فجأة بأرض باردة، باردة لدرجة أن الألم انتشر في عظامها، نظرت حولها، فرأت قاعة شاسعة تمتد بلا نهاية واضحة، أرضيتها من حجر أسود تتخلله شقوق متوهجة بضوء أحمر نابض، كأن الدماء تسري تحته.

الأعمدة التي ترفع سقف القاعة لم تكن أعمدة حقيقية... كانت أجسادًا بشرية ملتفة حول نفسها، ممدودة نحو الأعلى، وجوهها متجمدة في تعبيرات صرخة أبدية، وأعينها مغلقة كأنها تتجنب رؤية ما يقف في وسط القاعة.

هناك، في قلب المكان، كان الباب.

لم يكن بابًا تقليديًا؛ بل لوحًا هائلًا من صخر أسود، سطحه محفور عليه رموز معقدة تتشابك كشبكة عنكبوت، تتوهج بوميض أحمر كأنها تنبض بالحياة، من شقوقه الضيقة، كانت تتسلل خيوط دخان ثقيل تلتف حول نفسها مثل أفاعٍ تراقب الفريسة.

خطت خطوة نحوه، فشعرت بأن الأرض تتموج تحت قدميها، وكأن القاعة نفسها تنصحها بالابتعاد،

لكن شيئًا غريبًا، أقوى من إرادتها، كان يدفعها إلى الأمام، كما لو أن الباب نفسه يستدعيها.

عند وصولها مسافة قريبة، بدأ الباب يُصدر أصواتًا عميقة، أشبه بصرير العظام وهي تُسحق. كانت الأصوات تتصاعد تدريجيًا، حتى تحولت إلى طرقات، ثقيلة وبطيئة... ثلاث طرقات، يتبعها صمت خانق.

لكن الصمت لم يدم طويلًا.

عند الطرقة الرابعة، ظهر شق في منتصف الباب، ضيق في البداية، ثم اتسع قليلًا، وخرجت منه يد هائلة الحجم، جلدها رمادي متشقق، تتساقط منه قطرات سوداء تتبخر فور لمسها للأرض، أصابع اليد طويلة بشكل غير طبيعي، تنتهي بمخالب من عظم أصفر حاد.

حاولت التراجع، لكن الأرض تحولت فجأة إلى أذرع سوداء تتلوى وتلتف حول كاحليها، تشدها نحو الباب، في تلك اللحظة، انحنى شيء خلف الشق، وظهرت عين واحدة ضخمة بالكامل بيضاء، تتحرك

ببطء وهي تحدق بها، لا طرفة فيها، لكنها مليئة بوعي غريب، كأنها تحللها وتزن قيمتها.

الأصوات في رأسها ازدادت قوة حتى شعرت أن جمجمتها ستنفجر، كلها تتحدث في وقت واحد بلا ترتيب، لكن وسط الفوضى استطاعت أن تلتقط جملة واضحة تمامًا:

"افتحيه... أو ستذوبين هنا."

الباب بدأ يهتز، الشق يتسع أكثر، واليد الضخمة تتحرك بقوة أكبر، أصابعها تكاد تصل إليها.

وفجأة، تغير كل شيء.

درجة الحرارة انخفضت بسرعة مخيفة، أنفاسها تحولت إلى بخار أبيض، وسمعت من خلفها صوت صرير معدني ثقيل، وكأن سلاسل ضخمة تُسحب على الحجر.

إلتفتت...

كان هناك الكائن ذو القناع الحجري، يقف على مسافة قصيرة منها، جسده مغطى بدرع من عظام مكسورة مربوطة بسلاسل حديدية، وأجنحة سوداء ممزقة ترفرف ببطء، تصدر صوتًا يشبه أنين الرياح في الممرات الضيقة.

بصوت لم يصدر من فم، بل انفجر في عقلها كالرعد، قال:

"هذا الباب... ليس لكِ."

رفع يده، ومن بين أصابعه انطلقت خيوط سوداء كثيفة، كأنها دخان متجمد، انغرست في الأرض، تسللت نحو الشق، وبدأت تلتف حول يد المخلوق خلف الباب، تشدها إلى الداخل.

المخلوق الآخر بدأ يقاوم، صرخاته كانت كصفير معدن يُكسر مع عواء حيوان يحتضر، وصدى ذلك الصراخ جعل القاعة كلها ترتجف، الأعمدة البشرية بدأت تتشقق، وبعض الوجوه فتحت عيونها لأول مرة، تطل منها نظرات رعب خالص.

في الأعلى، انشقت السماء المظلمة للقاعة، لتكشف عن دوامة هائلة من السواد، تمتص الحطام والصوت وحتى الضوء نفسه.

شعرت بقوة مجهولة تسحبها إلى الوراء، الأرض نفسها تنزلق تحتها، حتى فقدت التوازن وسقطت في العدم.

آخر ما رأته هو الباب وهو يُغلق ببطء شديد، لكن عين المخلوق خلفه بقيت تحدق بها حتى ابتلعها الظلام بالكامل.

الفصل الخامس والعشرون – "أصوات تحت الجلد"

عندما فتحت عينيها، لم تجد نفسها على الأرض، بل كانت معلقة في الهواء، محاطة بفراغ أسود بلا اتجاهات.

لم يكن هناك ضوء، ومع ذلك كانت ترى. ترى... ولكن ليس بعينيها.

جسدها كان خفيفًا جدًا، حتى أنها لم تعد متأكدة إن كان لها جسد من الأساس، حاولت أن تتحرك، لكن شعورًا غريبًا جعلها تدرك أن حركتها لم تعد مرتبطة بعضلات أو عظام... بل بفكرة، أو رغبة، أو خوف.

ثم بدأت الهمسات.

لكنها لم تعد همسات عادية، بل صارت تصدر من داخل جلدها نفسه، وكأن طبقات لحمها تتحدث فيما بينها، كانت الأصوات حادة، سريعة، متداخلة، كأنها تناقش أمرًا مصيريًا في سباق مع الوقت.

"إنها هي..."

"لكنها ناقصة..."

"الوقت يضيق... الباب الآخر يستعد..."

في اللحظة التي حاولت فيها الرد، شعرت بشيء يلمس مؤخرة رقبتها، لم يكن ملمسًا جسديًا... بل كان إحساسًا يخترق وعيها مباشرة، يعبث بالذكريات التي ظنت أنها دفنتها منذ زمن، ومرة واحدة، اندفعت أمامها صور: طفولتها، وجه أمها وهي تصرخ، النار وهي تلتهم البيت، ظل رجل يقف

بعيدًا... عيونه كانت نفس العيون التي رأتها خلف الباب.

حاولت أن تصرخ، لكن الصوت لم يخرج، بدلاً من ذلك، بدأ السواد من حولها يتحول إلى نسيج ينبض، أشبه بسطح قلب ضخم، كل نبضة تدفعها إلى الداخل أكثر فأكثر.

فجأة، انفتحت الأرض تحتها، وسقطت.

لكن السقوط لم يكن إلى أسفل... كان إلى داخل شيء.

تشققت الظلمة عن ممر طويل، جدرانه مغطاة بوجوه بشرية متداخلة، بعضها يفتح عينيه فجأة لينظر إليها، وبعضها يحرك شفتيه وكأنه يريد التحذير، لكن بلا صوت، كانت الخطوات التي تسمعها ليست خطواتها، بل خطوات شيء يتبعها من بعيد، خطوات ثقيلة، بطيئة، لكنها تقترب في كل لحظة.

في نهاية الممر، كان هناك باب صغير، بعكس كل الأبواب التي رأتها من قبل، باب خشبي قديم، لا

يتجاوز طوله نصف متر، محفور عليه نفس الرموز التي رأتها على الباب الأسود، لكن هذه المرة كانت الرموز تلمع بضوء أزرق بارد، كجليد يشتعل من الداخل.

انحنت لتلمسه، لكن الجدران خلفها بدأت تتحرك، والوجوه فيها بدأت تصرخ بصوت واحد، عالٍ وممزق للأعصاب، حتى شعرت أن أذنيها ستنزفان.

من طرف عينها، رأت شيئًا يخرج من الظلام... كائن طويل القامة، أطرافه مشوهة وكأنها امتدت أكثر من اللازم، رأسه مائل، وفمه ممتد حتى منتصف عنقه، يبتسم ابتسامة ثابتة وغير إنسانية.

كان يحمل في يده فانوسًا صغيرًا يخرج منه ضوء أحمر، لكن الضوء لم يكن يبدد الظلام... بل كان يجذب الظلام نحوه، كما لو كان يغذيه.

اقترب الكائن منها بخطوات ثابتة، وكلما اقترب، بدأ الباب الصغير يصدر طقطقة غريبة، وكأن قفله ينفتح من تلقاء نفسه.

الهواء أصبح أثقل، والبرودة تحولت إلى برد يخترق العظام.

الكائن توقف على بعد خطوة منها، انحنى قليلًا، وقال بصوت أشبه بصفير معدني:

"الآن... ستختارين أنتِ."

قبل أن تفهم معنى كلماته، فتح الباب من تلقاء نفسه، وانبعث منه ضوء أزرق شديد، دفعها للخلف، بينما الكائن مد يده إليها، كأنه يعرض عليها أن تمسك به... أو أن تهرب.

لكن الهروب إلى أين؟

لم يكن واضحًا.

كل ما كان واضحًا أن اللحظة التالية... ستقرر مصيرها بالكامل.

الفصل السادس والعشرون – "العين التي لا ترمش"

كانت وحدها... أو هكذا ظنت.

لكن رائحة باردة غريبة ملأت المكان، رائحة حجر مبتل ترك في قبو مهجور لمئات السنين، قلبها أخبرها أن الكائن لم يختفِ... بل صار أقرب، يختبئ خلف أول ومضة ظل قادمة.

ومع أول خطوة تقدمتها، جاء الصوت.

طرق بطيء، منتظم، يشبه وقع أقدام ثقيلة تلامس الأرض برفق، لكن بين كل خطوة وأخرى كان هناك صرير معدني قصير، كأن شيئًا يجر سلاحًا على طول الجدار.

تسارعت أنفاسها، وعيناها تبحثان في كل زاوية، الممر بدا أطول من ذي قبل، أطرافه تذوب في العتمة، وفي تلك العتمة، رأته... لم يكن بعيدًا، يقف عند النهاية، لا يتحرك، لكنه أقرب مما كان.

أغمضت عينيها لثانية... وعندما فتحتها، كان على بعد نصف المسافة.

لم تره يتحرك... لكنه كان هناك.

بدأت تركض.

الأرض تحت قدميها لم تعد ثابتة، الحجارة تتحرك وكأنها لوحات خشبية فوق بحر هائج، كل خطوة تهدد بابتلاعها، أصوات الطَرق والصرير صارت أسرع، أقرب، حتى شعرت بالهواء يبرد خلفها فجأة.

لم تلتفت.

لكن ظلًا طويلًا امتد على الجدار بجانبها، أطول منها بعشر مرات، يتحرك بخطوات غير متزامنة مع حركتها... وكأنه يسبقها.

في نهاية الممر، لم تجد بابًا ولا منفذًا.

فقط جدار حجري صلب.

التفتت... وكان هناك.

قريبًا لدرجة أنها شعرت بحرارة ابتسامته على وجهها، رغم أن الهواء كان باردًا كالجليد، عيناه لا ترمشان، تحدقان فيها وكأنهما تكتب على جدران عقلها شيئًا لا يُمحى.

همس، لكن صوته اخترقها من الداخل:

"كل خطوة تخطينها... تقتربين مني أكثر، حتى حين تركضين بعيدًا."

وبينما تراجعت للخلف حتى التصق ظهرها بالجدار، شعرت بحجارة الجدار تتحرك... أصابع حجرية باردة انبثقت من خلفها، أمسكت بكتفيها، ثم بساقيها، تسحبها ببطء نحو الداخل، نحو العتمة التي تنبض خلف الحجارة.

آخر ما رأته قبل أن يغلق الظلام عليها، كان تلك العينين... لا ترمشان، ولا تتركها.

الفصل السابع والعشرون – "الممر الذي لا ينتهي"

لم تشعر بنفسها وهي تنزلق عبر الجدار الحجري... كان الأمر أشبه بالسقوط في ماء أسود كثيف لا يسمح للهواء بالمرور، لكنه لم يكن ماءً... كان شيئًا

آخر، مادة لزجة تمسك بها وتدفعها في الوقت ذاته، وكأنها تعرف الطريق أكثر مما تعرفه هي.

حين فتحت عينيها، وجدت نفسها في ممر آخر.

لكن هذا لم يكن مثل أي ممر رأته من قبل.

الأرضية كانت مغطاة بطبقة رقيقة من الضباب الأبيض الذي يلتف حول كاحليها كأصابع تتفحصها، الجدران لم تكن صلبة بالكامل، بل نابضة... وكأنها أنسجة حيّة تتنفس ببطء.

على امتداد الممر، كانت هناك أبواب... عشرات منها، متراصة على الجانبين.

كل باب بلون مختلف، وبعضها يتبدل لونه أمام عينيها، من أحد الأبواب، كانت تسمع بكاء طفل، ومن آخر يأتي خرير ماء عذب، ومن ثالث ينبعث لحن موسيقي حزين.

لكن الأغرب... أن كل باب كان مكتوبًا عليه اسم.

اقتربت من أول باب، ورأت الاسم محفورًا بخط داكن: "هيام".

الثاني: "أحمد".

الثالث جعل قلبها يتوقف لثانية: اسمها هي، مكتوب بنفس الخط، لكن تحته كانت هناك كلمة أخرى لم تستطع قراءتها، وكأن الحروف تتلوى أمامها.

سمعت صوتًا خلفها... الطرق ذاته، والصرير المعدني يقترب.

عرفت أن الكائن تبعها هنا أيضًا، لم يعد هناك شك، لم يكن الممر مهربًا، بل مرحلة أخرى من مطاردة لا نهاية لها.

أمسكت بمقبض الباب الذي يحمل اسمها، لكنه كان باردًا بشكل مؤلم.

حين حاولت فتحه، شعرت وكأن آلاف الأصابع الخفية تشد يدها للخلف، تمنعها من الدخول. فجأة، انفتح الباب المقابل لها ببطء، وخرج منه هواء ثقيل برائحة حديد ودم، وأصوات همسات تتشابك، تتحدث جميعها بلغات مختلفة، لكنها كلها تكرر كلمة واحدة بصوتها هي: "ارجعي...".

وبينما كانت عيناها تتجولان في الظلام خلف الباب، برزت يد طويلة ورفيعة، أصابعها أكثر عددًا مما ينبغي، وراحت تتحسس الأرض بحثًا عنها.

ركضت نحو نهاية الممر، لكن النهاية لم تأتِ.

كلما ركضت، تمدد الممر أكثر، والأبواب تتكرر، بعضها بأسماء تعرفها، وأخرى بأسماء لم تسمعها من قبل.

بدأت تشعر أن الزمن هنا ليس كما في الخارج... خطواتها صارت أبطأ، وكأن الهواء نفسه يثقلها، بينما الظل خلفها يتحرك بحرية، يقترب، حتى بدأ يسبقها ويظهر أمامها أحيانًا، يطل برأسه من أحد الأبواب، يبتسم بعينين لا ترمشان.

وفجأة... توقفت كل الأبواب عن التكرار.

وصلت إلى باب واحد، ضخم، أسود بالكامل، بلا مقبض، بلا نقش، لكنه ينبض كما ينبض قلب هائل خلفَه، ومن خلفِه، جاء صوت صديقها المختفي، واضحًا، قريبًا:

"أنتِ الآن حيث بدأت القصة... لكن ليس حيث ستنتهي."

ثم... بدأ الباب يفتح من تلقاء نفسه، وببطء شديد، حتى صارت الفتحة تكفي لتمرر جسدها.

وما إن خطت خطوة واحدة للداخل، حتى انغلق خلفها بقوة، تاركًا إياها في ظلام مطبق... وفي ذلك الظلام، كان هناك شيء يتنفس معها... بنفس إيقاعها.

الفصل الثامن والعشرون – "الصوت الذي يعرف كل شيء"

لم تكن الظلمة التي دخلتها شبيهة بأي عتمة عرفتها من قبل؛ لم تكن مجرد غياب للضوء، بل كانت شيئًا حيًّا، يتغلغل في مسامها، يضغط على أضلاعها، ويُبطئ ضربات قلبها،

كانت تظن أن عينَيها ستعتادان عليها بمرور الوقت، لكنها اكتشفت أن هذا الظلام يرفض أن يكشف شيئًا... وكأن هناك إرادة خفية تمنع الرؤية.

خطت خطوة إلى الأمام، فشعرت بالأرض تحت قدميها وكأنها لينة، تتنفس ببطء، تارة ترتفع وتارة

تهبط، كما لو كانت تسير فوق صدر كائن عملاق نائم.

ثم... جاء الصوت.

لم يكن قريبًا، ولا بعيدًا... كان في كل مكان.

صوتٌ هادئ، عميق، كأنه يهمس مباشرة في أعماق رأسها:

— "لماذا جئتِ؟"

لم تجب.

لم تكن متأكدة إن كان من الحكمة أن ترد، لكن الصمت لم يحمِها.

— "لقد حاولتِ فهم جمرك... لكنك لم تدركي بعد أن الجمرة ليست شيئًا... إنها أنتِ."

ارتجفت. شعرت وكأن الصوت يعرف كل ما فكرت فيه منذ البداية.

ثم فجأة، بدأ شيء ما يلمع في البعيد، نقطة ضوء صغيرة، تقترب ببطء... لكنها لم تكن ثابتة، كانت تتحرك بخط متعرج، وكأنها تُجرّ عبر الماء.

حين اقتربت، أدركت أن الضوء لم يكن سوى عين واحدة، معلّقة في الهواء، تحدّق بها بلا جفن، ينبعث منها وهج باهت.

وبينما تحدق إليها، سمعت همسات تخرج من داخلها، همسات بأصوات مختلفة، بعضها مألوف، بعضها لا تعرفه، لكنها كلها تنطق بأسرار... أسرار تخصها، وأسرار لم تعشها بعد.

— "هل تريدين أن تعرفي أين ذهب صديقك؟"

لم تتمالك نفسها، وأومأت برأسها.

— "هو لم يختفِ... هو هنا. لكن ليس كما كان."

وبينما قال الصوت ذلك، انفتح الضوء فجأة كأن العين قد تحولت إلى فم هائل، يبتلع كل ما حوله، شعرت بالهواء يُسحب، بجسدها ينجذب للأمام، كأن الجاذبية خانتها.

حاولت أن تتشبث بالأرض، لكن الأرض نفسها انكمشت تحت أصابع قدميها.

في اللحظة التي ابتلعها الظلام مجددًا، وجدت نفسها في مكان جديد... غرفة دائرية، جدرانها مغطاة بوجوه محفورة في الحجر، وكل وجه كان يتحرك ببطء، وكأنه على وشك الكلام.

وفعلًا، بدأ أحد الوجوه يتحرك شفاهه، وتكلم بصوت صديقها:

— "هربتُ... لكنهم وجدوني، والآن، جاء دورك."

شعرت بتيار بارد يزحف على ظهرها، فأدارت رأسها... ورأته،

ذلك الكائن الذي ظل يطاردها، يقف الآن أمامها، أقرب من أي وقت مضى.

لم يعد مجرد ظل، بل أصبح أكثر وضوحًا... جسده طويل مشوّه، عظامه بارزة من تحت جلده، ووجهه بلا ملامح، سوى ابتسامة عريضة جدًا، أكبر من أن تكون بشرية.

لم يتحرك، لكنه كان يقترب بطريقة غير منطقية... لم يخطُ خطوة واحدة، ومع ذلك، كانت المسافة بينهما تتلاشى.

وفي اللحظة التي كادت فيها أن تصرخ، تردد صوته في الغرفة:

— "أنتِ لم تدركي بعد... أن النهاية ليست هربًا، بل بداية أخرى."

ثم انطفأ كل شيء.

لا صوت. لا ضوء. لا إحساس.

كأن العالم توقف... وتركها عالقة بين أنفاسها الأخيرة، وبداية لم تعرف إن كانت تريدها أم لا.

الفصل التاسع والعشرون – "ظل المارد"

كانت الليلة أثقل من كل الليالي التي عرفتها من قبل، وكأن السماء نفسها قد أغلقت أبوابها، تاركة الأرض فريسة لظلام لا يشبه أي ظلام آخر.

الريح كانت تصفر بين النوافذ المهجورة، لكنها لم تكن وحدها التي تهمس... كان هناك همس آخر، أعمق، أثقل، كأنه آتٍ من مكان لا ينتمي للعالم البشري.

جلست على طرف السرير، تتأمل جدران غرفتها، لكن عينيها كانتا تنجذب نحو بقعة مظلمة في الركن، بقعة لم تكن موجودة قبل لحظات.

كانت أشبه بظل حيّ، يتنفس ببطء، يتمدد وينكمش مع كل لحظة، وكأن الأرض تتغذى عليه.

ثم جاء الصوت... ليس من الظل، ولا من الخارج، بل من داخلها، من مكان قريب من روحها نفسها:

— "أخيرًا... وجدتك."

شعرت أن قلبها توقف عن النبض.

كان الصوت عميقًا بشكل يزلزل عظامها، طبقات من الترددات المظلمة التي تشعر بها في أحشائك قبل أن تسمعها بأذنيك.

البقعة المظلمة بدأت تكبر، تتمدد على الأرض والجدران، حتى أخذت شكلًا... ظلًّا بطول جدارين، ضخمًا، يتلوى وكأنه دخان أسود يتشكل ببطء.

ارتفع هذا الظل حتى ملأ الغرفة، ورأت شيئًا يخرج من الظلمة: قرون ملتوية كقرون كبش قديم، عيون تشتعل بلون أحمر قاتم، وجلد مغطى برموز غريبة تحركت وكأنها حية، خطوط تتوهج ثم تخبو.

اقترب بخطوات ثقيلة جعلت أرض الغرفة ترتج وترتعد معها، وكلما اقترب، كانت الجدران نفسها تصدر أنينًا خافتًا، وكأنها تخشى لمسه.

حاولت أن تتحرك، أن تهرب، لكن جسدها كان كالحجر.

شعرت أن الهواء نفسه تجمد في صدرها، وأن أنفاسها لا تجد طريقًا للخروج.

— "لقد حُكم عليكِ منذ زمن بعيد... أنتِ لي."

كانت الكلمات مثل قيود حديدية تلتف حول روحها.

مد يده نحوها... يد هائلة، أصابعها طويلة تنتهي بمخالب كالهلال، ينساب منها دخان أسود كثيف.

وحين لامس طرف أصابعه كتفها، شعرت ببرودة غير طبيعية، برودة ليست من هذا العالم، كأن الحياة تُسحب منها ببطء.

الظلام بدأ يبتلع أي ضوء في الغرفة، حتى اختفى كل شيء... لم يبقَ سوى وجهه وعينيه، وهما يحومان أمامها كجمرتين في الفراغ.

وفي تلك اللحظة، رأته... مشهد خاطف لا تعلم كيف دخل عقلها: نفس المارد، لكن يقف أمامها كدرع، يصد هجوم مخلوقات مشوهة، عيونها تشتعل بخبث لا يوصف.

لم تعرف إن كانت هذه رؤية للمستقبل، أم مجرد لعبة منه، أو ربما تحذير غامض.

عاد صوته، أبطأ، أعمق، حتى شعرت أن عروقها تنبض بإيقاعه:

— "سوف أعود... ولن يكون لك مفر."

ثم تراجع الظلام فجأة، كأن أحدًا سحب ستارًا أسود عن العالم.

الغرفة عادت، ضوء خافت تسلل من النافذة، لكنها جلست على الأرض، أنفاسها متقطعة، يديها ترتجفان بلا توقف.

لكن الشيء الذي لم تستطع التخلص منه... هو الإحساس ببرودة أصابعه على كتفها، وكأنها ما زالت هناك.

ومع اختفاءه، ترك وراءه سؤالًا واحدًا يطاردها:

"حين يعود... هل سيكون نهايتي... أم نجاتي؟"

الفصل الثلاثون – "الظل الذي يراقب"

لم تكن الليلة عادية، الهواء نفسه بدا وكأنه يتكثف حولها، ثقيل، خانق، يجعل صدرها يعلو ويهبط بصعوبة، كما لو كانت تستنشق الضباب لا الأكسجين.

في الخارج، كانت أضواء الشارع تتذبذب بشكل غريب، تتوهج فجأة ثم تخبو، وكأنها تنبض بنبض قلب يحتضر، حتى أصوات المدينة المعتادة المارة، السيارات، الكلاب النابحة اختفت، تاركةً فراغًا

مخيفًا، فراغًا يمكن للخيالات أن تملأه بأي صورة مرعبة تريد.

كانت تسير في الممر الضيق المؤدي إلى غرفتها، الممر الذي تعرفه جيدًا... لكن الليلة بدا مختلفًا، الجدران لم تعد جدرانًا عادية، بل كتلًا صماء تقترب منها مع كل خطوة، كأنها تسعى لخنقها داخل متاهة مغلقة.

أرضية الممر صارت تصدر طقطقة غريبة تحت قدميها، ليست كصوت الخشب الطبيعي... بل كصوت أنفاس تُحبس في باطن الأرض.

في منتصف الطريق، شعرت بوخز بارد على رقبتها، ثم انسياب نفس بطيء دافئ من خلف أذنها مباشرة.

تصلبت، قلبها بدأ يضرب في صدرها بعنف حتى شعرت به في حلقها.

التفتت فجأة.

لا أحد.

لكن على الجدار المقابل كان هناك ظل... ظل طويل، ممدود، مشوَّه الملامح، يتحرك ببطء كأن

شخصًا خفيًا يزحف على الحائط نفسه، الظل لم يكن لها، ولم يكن لأي إنسان... أطرافه طويلة أكثر مما ينبغي، أصابعه تمتد كأنياب سوداء على الطلاء المتقشر.

ثم جاء الهمس... تلك النبرة العميقة التي عرفت أنها ليست من هذا العالم:

— "أراكِ... حتى وأنتِ تحاولين ألا تريني."

الظل بدأ يقترب، وكلما اقترب، أحست أن الهواء يبرد أكثر، حتى صار البخار يتصاعد من شفتيها.

خطوة... خطوتان...

وفجأة، تلاشى الظل كما لو أن شخصًا مسح وجوده من الواقع.

فتحت باب غرفتها بسرعة، دفعت جسدها إلى الداخل، وأغلقته خلفها بكل قوتها، مسندة ظهرها إلى الخشب البارد.

لكن قبل أن تلتقط أنفاسها، لاحظت شيئًا على المرآة المقابلة: بخار كثيف يغطي نصف سطحها،

وكلمات محفورة عليه بخط غير بشري، متعرج، كُتب وكأن يدًا من لهب مرّت عليه:

"لن تختبئي طويلاً."

لم تلمس المرآة، ومع ذلك أحست بحرارة تتسرب منها إلى أصابعها، حرارة غريبة وسط برودة الغرفة.

ثم، من داخل الانعكاس، ظهرت عيناه... نفس العينين الجمرتين، تحدقان بها من عمق الزجاج، قريبتين جدًا لدرجة أنها رأت انعكاس رعشتها فيهما.

صرخة مكتومة خرجت من صدرها، فتراجعت بسرعة إلى الوراء، لكن قدمها اصطدمت بحافة السرير فسقطت على الأرض.

حين رفعت نظرها، لم يكن هناك شيء، المرآة صافية، لا كلمات، لا عيون، كأن كل ما رأته لم يكن إلا كابوسًا عابرًا.

لكن قلبها لم يصدق، كانت تعرف أنه ما زال هنا، في مكانٍ ما،

وحين التفتت نحو زاوية الغرفة، رأت ذلك الوميض الأحمر الخاطف... شعلة صغيرة انطفأت في أقل من ثانية، لكنها كانت كافية لتخبرها أنه يراقبها.

ثم عاد الهمس، هذه المرة ليس من المرآة، بل من تحت الأرضية، وكأنه يتحدث من قلب البيت نفسه:

— "لن أؤذيكِ... بعد."

تسمر الدم في عروقها، "بعد"؟ الكلمة وحدها كانت تهديدًا ووعدًا في آن واحد.

الصمت بعدها كان أسوأ من أي صوت، لأن الهمس كان يعني أنه قريب في مكان تعرفه، أما الصمت... فيعني أنه يمكن أن يكون في أي مكان.

عند السقف... تحت السرير... خلف الباب... أو حتى خلف جفنيها إذا أغمضت عينيها.

ومع هذا الإدراك المرعب، فهمت الحقيقة:

هي ليست فقط مراقَبة... إنها محاصرة، ومحكوم عليها أن تنتظر لحظة الهجوم، دون أن تعرف متى ستأتي.

الفصل الحادي والثلاثون – "حين يفتح الظلام عينيه"

كانت الليلة أثقل من أن تُحتمل.

الجو مشبع برطوبة خانقة، والجدران نفسها بدت وكأنها تتنفس ببطء، تصدر أنينًا خافتًا، كأن شيئًا يضغط عليها من الداخل، جلست على سريرها، تراقب الظلال وهي تتراقص بفعل ضوء الشارع المتسلل عبر الستارة شبه المغلقة، لكن هذه الظلال لم تتحرك وفق أي منطق... كانت تتحرك وكأنها تملك إرادة خاصة.

تسمرت عيناها على أحد الزوايا، حيث لاحظت أن الظلام هناك أكثر كثافة، أعمق، كأنه حفرة في نسيج الغرفة، كلما رمشت، شعرت أن الحفرة تكبر، ثم بدأ الهواء يتبدل؛ البرودة زحفت ببطء على

جسدها، لكنها لم تكن برودة طبيعية، بل إحساس بارد يحمل في داخله طَعم الرماد.

حين رفعت رأسها، كان هناك المارد.

شاهق القامة حتى كاد رأسه يلامس السقف، جسده مكوّن من دخان كثيف تتخلله ومضات جمرية، وعيناه، جمرتان حقيقيتان، ينبعث منهما وهج أحمر يلتهم المسافة بينها وبينه.

لم يتكلم بشفتيه، لكن عقلها امتلأ بصوت غريب، عميق، كأنه يأتي من أعماق الأرض:

"لن تنجو إن واصلتِ السير..."

حاولت أن تسأله "السير إلى أين؟"، لكن حلقها كان مغلقًا، وكأن أصابع باردة تحيط بعنقها، تمنعها من إخراج أي صوت، اكتفت بالنظر إلى قدميه... فلم تجد ظلًا له.

همست في عقلها: "من أنت؟"

وجاء الرد ببطء، كحفيف رياح وسط مقبرة:

"أنا كابوسك الأول... وحاميك الأخير."

تراجعت إلى الوراء حتى ارتطم ظهرها بالجدار، لكنها أحست أن الجدار ليس صلبًا كما ينبغي، كان ينبض، كأن وراءه قلبًا عملاقًا يدق ببطء، رائحة غريبة بدأت تنتشر، مزيج من دخان محترق وشيء آخر يشبه العود الممزوج بالدم.

فجأة، أطفأ المارد جمرتَي عينيه، واختفى.

لكن الغرفة لم تعد كما كانت، فوق السرير مباشرة، على الجدار، كُتبت عبارة بخط محفور كأن أصابع محترقة قد حفرتها:

"هو ليس عدوك... بعد."

تجمدت مكانها، كانت تعرف أن هذه لم تكن النهاية، بل بداية لعبة أكثر خطورة، لعبة سيظهر فيها المارد متى شاء، ويختفي حين يريد، لعبة لا أحد يعرف إن كانت ستنجو منها.

ومع أول وميض برق خارج النافذة، ظنت أنها رأت شيئًا آخر يطل من خلف الستارة، لم يكن المارد

هذه المرة، بل عين واحدة صفراء، تحدق فيها بثبات، قبل أن تغلق الستارة بقوة كما لو أن شيئًا سحبها من الخارج.

الفصل الثاني والثلاثون – "الاسم المحظور"

الليل هذه المرة لم يكن صامتًا، بل كان متربصًا.

جَمرة كانت مستلقية على سريرها، تتقلب كل بضع دقائق وكأن جسدها يرفض فكرة النوم. كل مرة تغمض فيها عينيها، يطلّ وجهه من العتمة، ذلك المارد، يقترب ببطء حتى تكاد تشعر بحرارة أنفاسه على خدها، ثم يختفي تاركًا وراءه فراغًا خانقًا.

تأوهت وهي تجلس، تمد يديها نحو الطاولة الصغيرة بجوار النافذة، أخذت دفترها وقلم الحبر، محاولة أن تكتب ما رأته في الليلة السابقة، ربما، فكرت، إذا كتبت كل شيء، سيصبح الأمر مجرد كلمات… وسيبهت الخوف.

لكن مع أول سطر، لاحظت أن الحبر يتلاشى، يبهت حتى يختفي قبل أن تكتمل الكلمة، كأن يدًا خفية تمسحه من قلب الورقة.

"ما هذا الجنون؟" همست لنفسها، ثم التفتت نحو النافذة.

كانت مفتوحة قليلًا، والستائر تتحرك بهدوء رغم أن الرياح في الخارج ساكنة. فجأة، تسلل إلى مسامعها صوت غريب، أشبه بصفير طويل، لكنه لم يكن صفيرًا، بل كان شيئًا آخر، كان الصوت يلتف داخل أذنها، يتردد بين جدران جمجمتها، يتهجّى كلمة ببطء شديد، كمن يحاول إيقاظها من سبات عميق.

"سِـ..."

تجمدت أصابع جَمرة على القلم.

"سا..."

نبضات قلبها تسارعت، وصدرها بدأ يعلو ويهبط بشدة.

"سِيس..."

هنا، شعرت أن الهواء في الغرفة أصبح أثقل، وكأن شيئًا يضغط على صدرها، حاولت الوقوف، لكن ساقيها كانتا كأنهما غارقتان في الوحل. ثم، قبل أن يكتمل الصوت، انقطع فجأة.

النافذة أُغلقت بقوة، والستائر التصقت بالزجاج، كان الصمت الذي أعقب ذلك أكثر رعبًا من الصوت نفسه.

التفتت نحو الباب، فرأت أن الظلام في تلك الزاوية يتكاثف، حتى بدأ يتحرك، شيئًا فشيئًا، تشكّل جسد هائل من دخان أسود تتخلله شرارات صغيرة، وعينان جمرتان ثابتتان عليها.

"جَمرة.." جاء الصوت عميقًا، وكأن الأرض نفسها تتكلم.

ارتجفت وهي تهمس: "أنتَ... ماذا تريد مني؟"

لم يجب، إقترب أكثر، حتى صار يفصل بينهما بضع خطوات فقط، ومع كل خطوة، شعرت بدرجة الحرارة تنخفض وكأن الغرفة تُسحب إلى أعماق

كهف جليدي، ثم أدار رأسه نحو المرآة المعلقة على الجدار، وأشار بإصبعه الطويل.

جَمرة، رغم ارتجاف يديها، تبعته ببصرها.

المرآة كانت خالية من انعكاسه، لكن على سطحها بدأ شيء يكتب من الداخل... حروف تحترق ببطء، بخط متقطع:

"سِيس..."

ثم توقفت الحروف، وكأن قوة خفية مزقتها قبل أن تكتمل.

التفت إليها، وصوته يدوّي داخل عقلها:

"بعض الأسماء يا جَمرة، تُفتح بها أبواب... لا يمكن إغلاقها."

ترددت لحظة، ثم قالت بصوت بالكاد يخرج: "هل هو اسمك؟"

ابتسم ابتسامة باهتة، لكنها كانت أسوأ من كل تعابير الغضب التي رأتها منه.

لم يرد، بل اختفى كأن الظلام ابتلعه، تاركًا رائحة رماد ممزوجة بالمطر.

اقتربت جَمرة من المرآة، لمست سطحها البارد بأطراف أصابعها، وهمست:

"سِيسامي.."

ما إن نطقت الكلمة، حتى اهتزت جدران الغرفة لحظة، وتسلل شعور غريب إلى أعماقها، إحساس بأنها لم تعد وحيدة، وأن شيئًا ما دخل حياتها، وسيبقى فيها حتى النهاية.

ثم جاء صوته من العدم، هذه المرة أقرب، وكأنه يقف خلفها مباشرة:

"لقد وجدتِني يا جَمرة... لكن هل تعلمين ثمن ذلك؟"

لم تجرؤ على الالتفات.

كانت تعلم أن حياتها قد تغيرت للأبد، وأن "سِيسامي" لم يعد مجرد كابوس، بل أصبح ظلًا

ملازمًا لها، يراقبها من حيث لا تراها، بانتظار اللحظة التي سيكشف فيها سبب مجيئه.

الفصل الثالث والثلاثون – "الظل الذي لا يرحل"

منذ تلك الليلة، لم تعد جَمرة تعرف أين ينتهي الحلم وأين يبدأ الواقع، كانت تمشي في الشارع فتشعر بخطوات خلفها، لكنها لا ترى أحدًا حين تلتفت.

تجلس في غرفتها، فترى في زاوية عينها ظلًا طويلًا ينساب على الجدار، وحين تحدق في المكان، لا تجد إلا فراغًا قاتمًا.

الأغرب أن الأشياء حولها بدأت تتصرف وكأن لها إرادة.

في إحدى المرات، كانت في المطبخ تملأ كوب ماء، فانسكب الماء قبل أن يصل الكوب، لكن ما أدهشها أن القطرات المتناثرة رسمت شكل كلمة واحدة على الطاولة:

"أنا هنا".

ارتجفت يد جَمرة، فسقط الكوب من يدها وتكسر، لكن حتى الزجاج المتناثر بدا وكأنه يرتّب نفسه ليشكل حروفًا غامضة، لم تفهمها بالكامل... لكنها رأت حرف الـ "س" يتكرر مرتين.

في تلك اللحظة، تذكرت اسمه.

"سِيسامي..."

لكنها لم تتجرأ على نطق الكلمة بصوت عالٍ.

في الليل، حين أطفأت الأنوار واستلقت على السرير، أحست أن الغرفة ليست كما كانت.
الظلام لم يعد مجرد غياب للضوء، بل صار شيئًا حيًا، كانت تسمع أنفاسًا بطيئة وثقيلة، تأتي من كل مكان.

"جَمرة.." جاء الصوت منخفضًا، عميقًا، يملأ الغرفة كما يملأ الماء كأسًا.

أغمضت عينيها بقوة، لكن حين فتحتهما، كان يقف عند طرف السرير.

لم يكن هذا مجرد ظل، كان أطول من أي إنسان، كتفاه عريضتان، وجسده مكوّن من دخان أسود يتلوى ببطء، وعيناه الجمرتان ثابتتان عليها.

قال ببطء، وكأنه يختبر وقع كلماته عليها:

"هناك من يراقبك غيري"

تسمَّرت نظراتها عليه، "ماذا تعني؟"

اقترب حتى شعرت بحرارته الباردة، ذلك التناقض المستحيل الذي يميز و جوده.

"أنتِ، قطعة من شيء أكبر، يا جَمرة، وهناك من يريدكِ قبلي."

لم تستطع الكلام، كانت أسئلتها تتزاحم في عقلها، لكنها شعرت أن أي كلمة تنطقها قد تفتح بابًا جديدًا للخطر.

مد يده الطويلة، ووضعها على الحائط، فبدأت تظهر على الجدار أشكال غريبة، رموز محفورة كأنها من زمن آخر.

"ما هذا؟" همست وهي تُحدق في العلامات.

أجاب بصوت منخفض، يكاد يكون همسًا:

"مفتاح، لكنه ليس لك وحدك."

قبل أن تسأله المزيد، انطفأ ضوء القمر الذي كان يتسلل من النافذة، وغرقت الغرفة في عتمة مطلقة، وحين عادت الإضاءة الضعيفة، كان قد اختفى، تاركًا وراءه الرموز تحترق ببطء على الحائط، كأنها حبر من نار.

جَمرة، وهي تلمس الجدار بحذر، شعرت بأن حياتها أصبحت سجنًا بلا جدران.

وأن "سِيسامي" لم يعد كابوسًا يظهر ثم يختفي، بل صار جزءًا من يومها، يتداخل مع أنفاسها، ويعرف كل نبضة في قلبها.

الفصل الرابع والثلاثون – "أصوات من خلف الجدار"

كان الليل يثقل على المدينة بثوب من الصمت، لكن غرفة جَمرة لم تكن تعرف الصمت هذه الليلة.

جلست على حافة السرير، عيناها تتبعان تلك الرموز المحترقة على الجدار، خطوط ملتوية كأنها ندوب على جلد الزمن، وألوانها تتوهج بخفوت غامض، وكأنها تتنفس معها.

لم تفهم جَمرة لماذا كانت تشعر أن هذه الرموز تنظر إليها، لم تكن مجرد نقوش، بَل بدت وكأنها تملك عقلًا.

وفجأة، جاء الصوت، كان أقرب إلى هسيس الأفعى، ممتزجًا باحتكاك الحديد، ورغم ذلك استطاعت تمييز الكلمات:

"اختاري، قبل أن يختاروا عنك."

ارتجف قلبها، نظرت حولها، الغرفة فارغة، الباب مغلق، والنوافذ موصدة.

"مَن هناك؟" سألت بصوت متردد، لكنها لم تتلقَّ ردًا، سوى أن الرموز نفسها بدأت تتحرك، تلتوي

وتتمدد، حتى صارت أشكالًا تشبه الأعين، عيون كثيرة، تحدق بها جميعًا.

شعرت بحرارة تتصاعد من الأرضية، ثم رأته،

ظلٌ مظلم بدأ يتشكل على الجدار، أولًا مثل دخان أسود يلتف، ثم تحوّل تدريجيًا إلى هيئة مألوفة،

سِيسامي.

لكنه لم يخرج كما يفعل دائمًا، بل بدا وكأن الجدار يلفظه ببطء، كأن هذا المكان يرفضه أو يقاوم وجوده.

- جَمرة، لا تصغي لهم.
- "مَن، هم؟"
- أعداء لي، وأعداء لكِ.

قبل أن تسأل المزيد، شعرت بالأرض تحت قدميها تلين، كانت مادة لزجة، باردة، تتسرب بين أصابع قدميها وتحاول ابتلاعها.

صرخت: "سِيسامي! ما الذي يحدث؟!"

في لحظة، مد ذراعه الطويلة، وخطوط من الدخان الأسود انبثقت من يده والتفت حول جسدها، وانتزعها بقوة، لكن لم يرفعها للأعلى، بل سحبها لأسفل، إلى الظلام.

هبطت في صمت مطبق، حتى وجدت نفسها واقفة في ممر طويل، جدرانه سوداء تلمع وكأنها مبللة، والمشاعل المعلقة عليه تشتعل بلهب أزرق شاحب، يلقي بظلال تتحرك كأنها تتنفس.

كل شيء هنا كان ساكنًا، لكنه لم يكن ميتًا.

ثم جاء الصوت، صوت أنثوي، ناعم، لكنه يحمل شيئًا خانقًا، كأن فيه وعدًا بالموت:

"أخيرًا، وجدناك."

- "من أنتِ؟"

لم يجب الصوت، بل بدأ يقترب، خطواته لا تُسمع، لكن الضوء الأزرق كان يخفت أكثر مع كل لحظة، حتى بدأت أطراف الممر تغرق في العتمة.

وفي تلك اللحظة، خرجت يد طويلة من أحد الجدران، أصابعها حادة كالخناجر، تكاد تلمس كتف جَمرة.

تراجعت بسرعة، لكن الأرض هنا لم تكن صلبة، كانت أشبه بجلد حيّ ينبض تحت قدميها.

ظهر سِيسامي فجأة أمامها، هذه المرة ملامحه مشدودة، عيناه تشعان بضوء أحمر متوتر.

- يجب أن نرحل الآن.
- "لماذا؟!"
- لأنك إذا سمعتِ اسمها كاملًا، لن تعودي أنتِ.

لم يمهلها وقتًا للفهم، رفع يده، وانشق الهواء خلفها، مكوّنًا فجوة سوداء.

لكن قبل أن تبتلعها، اخترق الصوت الأنثوي الظلام، يهمس بكلمة واحدة جعلت أنفاس جَمرة تتوقف:

"اختيارك، سيقتل أحدنا."

اختفت في العدم، تاركة وراءها ذلك الممر البارد وصوت المرأة يتلاشى، لكنه ظل يلاحقها في أعماق عقلها، يلتف حول أفكارها مثل أفعى تنتظر اللحظة المناسبة للإنقضاض.

الفصل الخامس والثلاثون – "الخط الفاصل"

الليل كان أثقل من أي ليلة عاشتها جَمرة من قبل، الهواء بدا وكأنه محمّل بصدأ القرون، كل نسمة تحمل معها همسًا ضائعًا من زمنٍ آخر، كانت غرفتها غارقة في الظلال، لكن العتمة هذه المرة بدت حية، تتحرك ببطء، وكأنها تنتظر لحظة الانقضاض.

لم تستطع النوم، عيناها تحدقان في السقف، وأذناها تلتقطان كل نأمة، حتى صرير الخشب تحت قدمي شيء لم تره، ثم جاء الصوت، ليس كصوت البشر، ولا كالريح، بل خليط من الاثنين، وكأنهما يتصارعان داخل صدر كائن غير مرئي:

"جمرة..."

كان الصوت يعرف اسمها، همسها ببطئ، كما لو كان يتذوق الحروف، شعرت ببرودة تسري من عمودها الفقري حتى أطراف أصابعها، إلتفتت نحو مصدر الصوت، لكن الظلال كانت أعمق من أن ترى ما خلفها.

ثم تحركت زاوية الغرفة، لم يكن شيئًا ماديًا، بل تكتل من السواد، أكثر سوادًا من الظلام نفسه، ومن داخله، برز زوج من العيون، ليست عيون إنسان، ولا حتى حيوان، عيون تشبه جمرًا خامدًا، لكنها تنبض بضوء خافت، كما لو كانت تستعيد وهجها بعد غياب طويل.

اقترب الخط الفاصل بين الحلم والواقع، جَمرة لم تعد متأكدة إن كانت نائمة أم مستيقظة، فجأة، شعرت أن الأرض تحتها لم تعد أرضًا، بل فراغ بارد، يسحبها نحو الأسفل.

ظهر الصوت مجددًا، هذه المرة أوضح، لكنه لا يزال غارقًا في الغموض:

"لا تبحثي عن اسمي، يا جمرة، فالأسماء تُعطي قوة، والقوة تُكلِّف أثمانًا."

لكنها، بدلاً من الخوف، شعرت بشيء غريب، فضول يشبه الجوع. كان الاسم هناك، قريبًا منها، يكاد يلمس وعيها، لكنه يختبئ خلف طبقات من الغموض.

وفجأة، امتدت يد، أو ما يشبه اليد، من بين الظلال. كانت طويلة بشكل غير طبيعي، أصابعها أشبه بفروع محترقة، لكنها لم تلمسها، فقط أحاطت بها من بعيد، كما لو كانت تحميها من شيء آخر يقترب.

ومن خلف الجدران، جاء صوت آخر، مختلف، أكثر حدة، وكأنه يصدر من مكان بعيد جدًا:

"هو ليس حليفك، اهربي قبل أن يفوت الأوان!"

لكن الظلال انكمشت فجأة، وعيون الجمر أغمضت، تاركة جَمرة وحدها في العتمة، مع قلب يخفق بعنف، وذِهن يصرخ بأسئلة لا تنتهي.

الفصل السادس والثلاثون – "خطوات في الممر الذي لا ينتهي"

لم يكد الفجر يقترب حتى أدركت جَمرة أن النوم صار ترفًا لا تملكه، تلك الليلة كانت أثقل من كل ما مرّت به سابقًا، وكأن ساعاتها امتدت لعمر كامل، كان هناك شيء يتنفس في الظلام معها، شيء

يراقبها، ويعرف متى يرف جفنها ومتى يضطرب قلبها.

جلست على طرف سريرها، شعرها مبعثر على كتفيها، وعيونها معلقة بباب غرفتها المغلق، أو هكذا ظنّت. لكن، ومع ومضة خاطفة من انتباهها، لاحظت أن الباب لم يعد كما تركته، أصبح مواربًا قليلًا، فتحة بالكاد تكشف سواد الممر الخارجي، ومع كل نبضة قلب، كانت الفتحة تتسع، ببطء، وكأن يدًا غير مرئية تدفعه نحوها.

لم يأتِ الأمر فجأة، بل كان كقطرة ماء تتسرب من سقف مظلم، قطرة بعد قطرة، حتى تغرق المكان. ومع ذلك، لم تسمع أي حركة هواء، ولا حتى احتكاك الخشب.

ثم جاء الصوت... خطوات.

كانت خطوات بطيئة، متثاقلة، وكأن الأرض تئن تحت وطأتها. لم تكن مثل وقع أقدام البشر، ولم

يكن فيها خفة حيوان. كانت أثقل، وكأن شيئًا ضخمًا يجرّ وزنه عبر العدم نفسه.

توقفت الخطوات خلف الباب، وتوقف قلب جَمرة معها، الصمت الآن كان أكثر فتكًا من الصوت نفسه، وكأن الظلام ينتظر قرارها.

وفجأة، جاء الهمس، خافتًا، مشوبًا بصدى بعيد، لكنه واضح بما يكفي ليزرع القشعريرة في عمق عظامها:

- "جَمرة... لا تفتحي... فهناك من ينتظر."

كانت الجملة كفخٍّ ذهني؛ تحذيرٌ يقودك إلى الخطر بدل أن يبعدك عنه.

لكن الفضول كان مثل مرض قديم يسري في دمها، لا يمكن علاجه. مدت يدها ببطء، كل إصبع يرتجف،

وكل مفصل يئن. الهواء حولها صار أثقل، وكأن الغرفة غرقت في ماء لا يُرى.

وما إن لامست مقبض الباب البارد حتى تغيّر كل شيء. لم تعد في غرفتها، ولم تعد تشم رائحة الخشب أو الغبار. كانت الآن في ممر طويل، بلا بداية أو نهاية مرئية، جدرانه مكسوة بظلال تتحرك كأنها تحاول التحرر من قيودها.

الأرضية كانت رطبة، تلمع بلمسة ضوء مجهول المصدر، ومن البعيد كان صوت قطرات الماء يتردد، كأنها عقارب ساعة لا تنتمي لهذا الزمن.

سارت بخطوات حذرة، وكل خطوة كانت كأنها تدوس على قلبها. على الجدران، رأت نقوشًا غريبة، حروفًا ملتوية تشع بضوء أحمر خافت، كأنها نبضات كائن ضخم يختبئ خلف الجدران.

ثم، في منتصف الممر، ظهر الضباب... ومنه خرج ذلك الطيف.

المارد.

لكن هذه المرة، لم يكن كما رأته في كوابيسها السابقة. نصف جسده مغمور في الضباب، وكتفاه العريضتان ترتفعان مع كل نفس، وعيناه جمرتان متقدتان في وجه داكن الملامح.

"لقد اقتربتِ أكثر مما يجب... يا جَمرة."

ارتجف إسمها وهو يخرج من فمه، كأنه يعرفها منذ زمن، منذ قبل أن تولد حتى.

"من أنت؟" ، قالتها بصوت متقطع بين الخوف والعناد.

"أنا ما يطاردك في الكوابيس، وما سيحميك حين يسقط كل شيء."

اقترب خطوة، وكانت كل خطوة تترك أثرًا محترقًا على الأرضية الرطبة، يتصاعد منه دخان أسود يتلاشى في الهواء، أرادت أن تسأله عن اسمه، لكنها شعرت وكأن الهواء نفسه صار سكينًا يضغط على حنجرتها، يمنعها من النطق.

الممر بدأ يهتز، والشقوق امتدت على الجدران، ومن داخلها خرجت أيادٍ نحيلة ذات جلد رمادي متشقق، أصابعها طويلة بشكل غير طبيعي، وأظافرها كالخناجر، تحاول الإمساك بها وسحبها إلى داخل الجدار.

صرخت جَمرة، لكن المارد رفع يده، وارتفع من حوله جدار من اللهب الأسود، كان يتحرك كما تتحرك الكائنات الحية، يلتفّ حولها ليحميها، بينما الأيادي تتراجع وهي تحترق وتطلق صرخات حادة تشبه المعدن الممزق.

ثم التفت إليها بعينيه المشتعلتين، وصوته صار أكثر هدوءًا، لكن حدة كلماته اخترقت عقلها:

"حين يحين الوقت... ستعرفين اسمي."

وبلمح البصر، انطفأ كل شيء، وجدت نفسها في غرفتها، جالسة على السرير، الباب مغلق كما كان.

لكن، على أرضية الغرفة، بقيت آثار أقدام محترقة، تتصاعد منها خيوط دخان بطيئة، وكأن شيئًا من ذلك الممر جاء معها، ولن يغادر.

الفصل السابع والثلاثون – "عندما يزأر الظلام"

لم تعد جَمرة تعرف إن كانت تغفو أم تسهر، كل ليلة أصبحت شبيهة بالأخرى، ممتلئة بكوابيس تُعيد نفسها، لكنها في كل مرة تصبح أكثر وضوحًا، وأكثر واقعية، تلك الأقدام المحترقة التي ظهرت على أرض غرفتها البارحة لم تكن أثرًا عابرًا، بل كانت توقيعًا من عالم لا ينتمي للبشر، حاولت مسحها

مرارًا، لكنها كانت تعود، وكأنها محفورة في روح المكان، لا على بلاطه فقط.

قررت أن تبقى خارج المنزل لبعض الوقت، لعل ضوضاء الشارع تزيح عنها ثِقَل الغموض الذي يخنقها، لكنها حين خرجت، اكتشفت أن الحي الذي تعرفه لم يعد كما كان، المباني بدت أطول، كأنها تمتد إلى ما وراء السحاب، ونوافذها مظلمة كعيون مغلقة تحجب أسرارًا ثقيلة، الهواء نفسه تغيّر، أصبح أكثر برودة، وكأن الليل يزفر دخانًا لا تراه.

تقدمت بخطوات حذرة، وهي تستشعر أن الأرض تحت قدميها لم تعد مألوفة، كل شيء كان يوحي بأن المدينة نفسها تتآمر عليها، الشوارع تتقوّس وتلتف بطرق غير منطقية، والظلال تطول وتتحرك دون أن يلمسها شيء.

بينما كانت تمر عبر زقاق ضيق، بدأ حفيف غامض يلاحقها. التفتت فجأة، فلم ترَ سوى الظلام متكتلًا في نهاية الطريق، كأن الليل نفسه يتحرك، حاولت تجاهل الأمر ومتابعة السير، لكن وقع خطوات

خفيفة تداخل مع أنفاسها، ثم أصبح الصوت أوضح، أقرب، أكثر جوعًا.

وبينما كانت تستعد للركض، برز من الظلام كائن غريب، قصير القامة، لكن وجهه بلا ملامح، فقط فجوة عميقة تشبه فمًا هائلًا مليئًا بأسنان دقيقة وحادة، لامعة كقطع زجاج مكسور، كان يتقدم بخطوات مترددة، أصابعه الطويلة ملتوية، تتحرك ببطء كأنها تتهيأ للانقضاض.

بدأ قلب جَمرة يخفق بجنون، وركضت، لكنها اكتشفت أن الأزقة تلتف حولها بشكل غير طبيعي، تقودها إلى طرق أضيق وأكثر ظلامًا، بدا وكأنها تركض في دائرة مغلقة، بينما ظل ذلك الكائن يقترب، صوت خطواته يلتصق بإيقاع أنفاسها اللاهثة.

ثم، وفي اللحظة التي كادت فيها قدماها أن تخونانها، جاء صوت يشبه انهيار جبل في قلب الليل، اهتزت الجدران، واندفع عمود من النار السوداء أمامها، ليفتح طريقًا من الجحيم. ومن وسطه خرج، سِيسَامِي.

كان طوله شاهقًا، وجهه يختفي نصفه خلف دخان أسود يتلوى باستمرار، لكن عينيه كانتا جمرتين تشتعلان وسط سواد دامس، لم يتحرك بخطوات عادية، بل بدا وكأنه انبثق من داخل الأرض نفسها.

توقف المخلوق بلا ملامح فجأة، وارتجف كطفل صغير أمام وحش أكبر منه، رفع سِيسامي يده، فانطلقت خيوط نارية متشابكة، التفت حول ذلك الكائن، وشدت عليه حتى صرخ بصوت معدني مخيف، قبل أن يتفتت إلى رماد تناثر في الهواء، تاركًا وراءه رائحة معدنية حادة.

جَمرة، التي كانت متسمّرة في مكانها، لم تستطع حتى أن تصرخ، أحست بحرارة تنبعث من جسده، لكن حرارة ليست بشرية، كانت حرارة موحشة، كأنها قادمة من قلب بركان قديم، اقترب منها ببطء، صوته أشبه بارتطام حجارة داخل كهف:

"قلت لكِ يا جَمرة... حين يقترب الخطر، سأكون هنا."

ارتعشت على وقع اسمه وهو ينطق اسمها، وكأن كل حرف من حروفه محفور في قلبها، حاولت سؤاله:

"لماذا... أنا؟"

لكن قبل أن ينطق، بدأ صوت آخر يتردد في الزقاق، خطوات كثيرة قادمة من كل الاتجاهات، صرخات بعيدة تتقاطع مع صفير رياح لم تشعر به من قبل، التفت سِيسَامِي نحو الظلام، وكأنه يراقب جيشًا يتجمع هناك، ثم عاد ببصره إليها:

"هذه البداية فقط... والأسماء التي تعرفينها، لن تحميك."

ومع تلك الكلمات، بدا وجهه يختفي مجددًا في الدخان، ثم غاب عن أنظارها وسط عمود جديد من النار السوداء. ترك وراءه أثرًا محترقًا على الأرض،

وصدى إسمه يهمس في عقلها، وكأنه نقش أبدي لا يمحى:

"سِيسامي.."

كانت جَمرة تعلم في تلك اللحظة أن حياتها لم تعد ملكًا لها، وأن كل خطوة تخطوها من الآن فصاعدًا ستكون في مرمى ذلك الظلام الذي بدأ يزأر.

الفصل الثامن والثلاثون – "ثمن الحماية"

لم تمضِ سوى ساعات قليلة منذ أن تركها سِيسامي وسط أزقة المدينة الملتوية، لكن الوقت بدا أطول من عمرها كلّه، كانت كل زاوية مظلمة وكل نافذة مغلقة تحمل نفس السؤال الذي يثقل عقلها: لماذا يصرّ على حمايتها؟ والأدهى، ماذا يريد بالمقابل؟

كانت جالسة على سريرها، جسدها منهك لكن عقلها يقظ، حين بدأت الأنوار في المنزل تخفت تدريجيًا، كأن شيئًا يلتهمها، ظنّت أن الأمر مجرد

انقطاع للكهرباء، لكن الهواء تغيّر، أصبح أثقل، أكثر رطوبة، وكأنها تحت الماء، فجأة، ارتفع صوت طرقات بطيئة على باب غرفتها، ثلاث طرقات متباعدة، يرافقها صرير طويل كأن الأظافر تخدش الخشب.

اقتربت بحذر، قلبها يخبط بجنون، وهمست لنفسها:

"ليس الآن، ليس الليلة."

لكن حين مدت يدها إلى المقبض، سقطت ورقة صغيرة من أسفل الباب، كانت الورقة سوداء تمامًا، وعليها كلمات محفورة وكأنها محفورة بالدم:

"جاءوا، ولن أوقفهم إلا مرة أخرى، لكنك ستدفعين."

شهقت جَمرة، وعرفت أن سِيسامي قريب، أو على الأقل يراقب.

لم يمضِ سوى لحظات حتى سمعت هديرًا منخفضًا من خارج النافذة، أشبه بزئير حيوان ضخم، يليه أصوات همهمة غامضة تتسلل من الجدران، وعندما نظرت عبر الزجاج، رأتهم، ثلاثة كائنات طويلة بشكل غير طبيعي، أجسادهم مغطاة بطبقة لامعة من مادة تشبه القطران، ووجوههم خالية تمامًا إلا من عين واحدة في منتصف الجبهة، تتوهج بلون أزرق باهت.

بدأوا يقتربون من المنزل ببطء، خطواتهم ثقيلة، وكلما خطوا، انبعث من تحت أقدامهم دخان أسود يتسرب إلى الداخل عبر الشقوق، لم يعد في وسعها الحركة، كأن الهواء نفسه أصبح قيدًا يلتف حول جسدها.

وفجأة، انشق الظلام في زاوية الغرفة كما تنشق صفحة كتاب محترقة، ومن الشق انبثق سِيسامي، كان هذه المرة أوضح من أي ظهور سابق، قامته العالية تلامس السقف، وقرونه المنحنية تلمع تحت ومضات برق غامضة لا مصدر لها، وعيناه مثل فوهتي جحيم.

نظر إليها أولًا، ثم إلى الكائنات التي تقترب من النافذة، وصوته كان أشبه بارتطام الصخور في أعماق الأرض:

"جَمرة، ما زال الوقت مبكرًا على أن تواجهيهم وحدك."

رفع يده، فانطلقت من أصابعه شرارات حمراء تحولت إلى سلاسل نارية، اخترقت الزجاج دون أن تكسره، واندفعت نحو تلك المخلوقات، صرخوا بأصوات عالية النغمة، أشبه بصوت معدن يُسحَب على حجر، قبل أن تتلاشى أجسادهم كأنها ذابت في الهواء.

لكن هذه المرة، لم يختفِ سِيسامي فورًا، بل التفت إليها، وخطا نحوها حتى شعرت بحرارته تلتهم الهواء بينهما، همس بصوت منخفض، لكن كل كلمة كانت تثقل قلبها:

"كل مرة أنقذك، تقتربين أكثر، من أن تكوني لي."

تراجعت خطوة إلى الوراء، لكن الجدار كان خلفها، وعيناه الجمرتان لم تفارقها، أرادت أن تسأله :

"لي؟ ماذا تعني؟"، لكن شفتيها لم تتحركا، كأن الخوف جمدها.

اقترب أكثر، حتى صار الدخان الذي يحيط به يلامس بشرتها، وشعرت بوخز ساخن يسري في عروقها، ثم قال ببطء، وكأنه يختبر وقع كلماته:

"الثمن يا جَمرة، اقترب."

وقبل أن ترد، انطفأ كل شيء فجأة، الظلام التهمه كما وُلد منه، وتركها وحدها في الغرفة، بينما كان صدى كلماته يملأ رأسها، يجعل قلبها يدق كطبول حرب لا تهدأ.

كانت تعلم أن ما حدث الليلة، لم يكن مجرد إنقاذ، بل خطوة أخرى نحو شيء لا تستطيع الهرب منه، مهما حاولت.

الفصل التاسع والثلاثون –
"خطوة نحو الجحيم"

لم تنم جَمرة تلك الليلة، كلما أغمضت عينيها، رأت عيني سِيسامي تحترقان في العتمة، وصوته يردد تلك الكلمة الثقيلة: الثمن.

كانت تعرف أن معناه ليس مالًا، ولا خدمة عابرة، بل شيئًا أعمق، وأخطر، وأقرب إلى روحها نفسها.

مع بزوغ الفجر، لم تجد نفسها في سلام، بل في مدينة أكثر برودة وغموضًا مما تركتها، الشوارع شبه خالية، والضباب يزحف فوق الأرض كأن المدينة تغرق ببطء في بحر أبيض كثيف، كل خطوة كانت تصدر صدىً غريبًا، كأن الأرض تحتها ليست من إسمَنتْ، بل من شيء مجوَّف، يخفي تحته شيئًا يتحرك.

وقفت أمام مكتبة قديمة في أحد الأزقة، بابها الخشبي مائل، ونوافذها مغطاة بالغبار، شيء بداخلها كان يجذبها، إحساس مألوف، لكنه مريب،

كأن سِيسامي ترك هناك أثرًا متعمدًا. دفعت الباب، ودخلت.

كانت الرائحة خليطًا من الورق المحترق والرطوبة، رفوف الكتب مائلة، بعضها محطم، لكن في الركن البعيد، كان هناك كتاب واحد فقط محفوظًا على منصة خشبية صغيرة، وعليه غطاء من زجاج مشقق، عنوانه مكتوب بخط غريب لا يشبه أي لغة تعرفها، لكن عقلها ترجمه فورًا دون وعي:

"عقد الظلال".

قبل أن تلمس الزجاج، ارتجف الهواء حولها، والكتب على الرفوف بدأت تهتز، تتساقط واحدة تلو الأخرى، شعرت ببرودة مفاجئة عند رقبتها، وكأن أنفاسًا حارة تسللت من العدم، وصوت ثقيل يهمس خلف أذنها:

"أنتِ تبحثين عني، جَمرة."

التفتت بسرعة، لكنه لم يكن هناك، فقط خيوط من الدخان الأسود تلتف، ثم تتلاشى، لكن قبل أن تتمكن من استعادة أنفاسها، سمعت خطوات ثقيلة تقترب من المدخل، لم تكن خطوات بشرية، بل أشبه بضربات مخالب ضخمة على الخشب.

تراجعت نحو زاوية المكتبة، بينما الظل الذي يغطي المدخل بدأ يتمدد إلى الداخل، فجأة، اخترق الزجاج الذي يغطي الكتاب نفسه، وانفجر إلى شظايا طارت في الهواء ببطء غريب، كما لو أن الزمن تباطأ، ومن وسط الزجاج المكسور، ارتفع بخار أسود، شكل تدريجيًا هيئة سِيسامي، لكن هذه المرة لم يكن وحده.

كان خلفه شيء أكبر منه، أضخم، وذو هيئة مسخية متعددة الأذرع، وكل ذراع تنتهي بمخلب مغطى بدماء جافة، ذلك الكائن الضخم كان ينحني فوق سِيسامي كأنه يراقبه، أو ربما يحاصره.

قال سِيسامي بنبرة منخفضة لكنها مليئة بالتحذير:

"ابتعدي، جَمْرَة، هذا ليس دوري الليلة."

لكن الكائن الضخم لم يمنحها فرصة للهروب، أذرعه بدأت تتحرك كالأفاعي، واحدة منها اخترقت الأرض واقتربت من قدميها بسرعة، شعرت بحرارة خانقة تلف ساقها، وعرفت أن الأمر انتهى، قبل أن يقطع سِيسامي المسافة بخطوة واحدة، قبض على ذراع المخلوق، وبصرخة غاضبة دوّت في المكان، تمزق الظل إلى غبار أسود، وتلاشى.

لكنه لم يختفِ هذه المرة، اقترب منها، حتى شعرت أن جدران المكتبة تضيق عليهما، وهمس:

"تذكرين ما قلته عن الثمن؟ ، لقد بدأ العد."

ثم مد يده، ووضع شيئًا صغيرًا في راحة يدها، كان حجرًا أسود، صغيرًا، لكنه نابض بحرارة، وكأن قلبًا ينبض بداخله، وعندما حاولت النظر إليه، وجدت أن سطحه يعكس وجهها، لكن عينيها كانتا تشتعلان بنفس النار التي في عينيه.

قبل أن تسأل، اختفى كما جاء، وتركها في مكتبة مهجورة، والكتاب المحطم أمامها، والحجر الأسود في يدها، وإحساس ثقيل أن ما حملته الآن ليس شيئًا يمكن إعادته أبدًا.

الفصل الأربعون – "نبض الحجر"

كانت جَمرة تحاول طوال الليل أن تتجاهل الحجر الأسود، تضعه على الطاولة، ثم تبعده عنها، لكن كل مرة كانت عينها تلتقط وميضًا غريبًا ينبثق من داخله، كأن قلبًا صغيرًا ينبض في عتمة لانهائية.

عند منتصف الليل، بدأ الحجر يرسل خفقات متزامنة مع قلبها، حاولت الابتعاد، لكن كل خطوة نحو الباب كانت تثقل ساقيها وكأنها تخوض في طين لزِج، شعرت أن الحجر يناديها، لا بصوت، بل بإحساس يزحف في عروقها.

لمحت ظلًا على الحائط، طويلًا، متعرجًا، رغم أن الغرفة مغلقة ولا ضوء يدخلها، كان يتحرك ببطء، يقترب من الطاولة حيث الحجر، فجأة، انفجر ظل

آخر من الأرض، أكثر حدة، حتى أدركت أنه ليس ظلًا، بل يدًا سوداء هلامية امتدت من العدم، تحاول الإمساك بالحجر.

في اللحظة التي كادت الأصابع المظلمة تلمسه، دوى صوت مألوف:

"ابتعد!"

كان سِيسامي، لكن ظهوره هذه المرة كان مختلفًا، لم يكن دخانًا فقط، بل جسد شبه مادي، عروقه تتوهج بخطوط حمراء، وعيناه تشعان بنار تكاد تحرق المكان. أشار بيده، فانكمشت اليد المظلمة، وانفجرت في شرر أسود تلاشى في الهواء.

اقترب منها، وصوته منخفض لكنه مثقل بالغضب:

"قلت لكِ، جَمرة، الحجر ليس أمانًا هنا."

ترددت، ثم همست:

"لماذا أعطيتني إياه إذًا؟"

ابتسم ابتسامة باهتة، لكنها كانت أشبه بجرح مفتوح:

"لأنك ستحتاجينه، وسيحتاجك هو أيضًا."

ثم وضع يده على الحجر، وفجأة غمرت الغرفة موجة باردة حادة، شعرت معها أن روحها تسحب قليلًا، في ثانية، تغير المشهد من حولها، لم تعد في غرفتها.

كانت تقف في ممر طويل، جدرانه مغطاة بمرايا قديمة مشروخة، لكن الانعكاسات لم تكن صورتها وحدها، بل مئات النسخ منها، بعضها مبتسم ابتسامات شريرة، وبعضها يصرخ صرخات صامتة، وفي نهاية الممر، كانت هناك بوابة ضخمة من العظام، تتوسطها عين واحدة تراقبها دون رمش.

قال سِيسامي وهو يحدق في البوابة:

"هذا، هو الطريق، لكن كل خطوة بعده، ستجعل عودتك أصعب."

قبل أن تتمكن من الرد، بدأت المرايا حولها تتشقق أكثر، ومن الشقوق خرجت أيدٍ، ثم وجوه مموهة بلا ملامح، تتحرك كأمواج بشرية بطيئة، لكنها كانت تقترب بثبات نحوها.

أمسك سِيسامي بيدها بقوة، وصوتُه هذه المرة كان أكثر حدّة، كأمرٍ لا نقاش فيه:

"اركضي... ولا تنظري خلفك."

لكنها فعلتْ، ونظرتها الأخيرة كشفت أن أحد الانعكاسات لم يتحرك مع البقية، كان يقف ثابتًا، يحدق بها بعينيها نفسها، لكن في إحداهما بريق الحجر الأسود.

الفصل الحادي والأربعون – "البوابة التي لا تُغلق"

كانت البوابة العظمية أمام جَمرة ترتجف كأنها تنبض بالحياة، والعين التي تتوسطها تتحرك ببطء، تراقب كل ذرة في كيانها، شعرت أن هذه العين تعرفها، تعرف مخاوفها، وتعرف حتى تلك اللحظات المظلمة التي حاولت دفنها.

اقتربت خطوة، فسمعت أنينًا خافتًا، لم يكن قادمًا من داخل البوابة، بل من العظام نفسها، كأنها تشتكي من ثقل الزمن أو من الألم الذي حُبست فيه.

سِيسامي كان بجانبها، جسده يتوهج بخطوط نارية تتحرك تحت جلده المعتم، نظر إليها نظرة تحمل خليطًا من التحذير والاختبار:

"جَمرة، إذا عبرتِ، لن يكون هناك عودة. هذا الباب لا يعرف سوى اتجاه واحد."

"وماذا لو لم أعبر؟"

ابتسم ابتسامة باهتة، لكنها هذه المرة كانت مليئة بالأسى:

"الباب سيعبر إليكِ."

وقبل أن تتمكن من الرد، انفتحت العين في وسط البوابة فجأة، وانطلقت منها موجة هواء باردة لدرجة شعرت أن دمها تجمّد للحظة، المرايا خلفها بدأت تتحطم واحدة تلو الأخرى، وكل انعكاس محطم خرج منه كائن غريب: أذرع طويلة ملتوية، أفواه بلا وجوه، وصرخات مخنوقة كأنها تأتي من أعماق بئر.

سِيسامي أمسك يدها بقوة، وسحبها للأمام، نحو البوابة. كل خطوة كان يصاحبها شعور أنها تخسر شيئًا من ذاتها ، ذكرى، إحساس، حتى صوت قلبها، وعندما لمست قدماها العتبة العظمية، شعرت بتيار حارق يجري في جسدها.

"لا تنطقي بإسمك هناك،" همس سِيسامي بصوت خافت، "الأسماء قوة، ومن يسمع اسمك يملكك."

في اللحظة التالية، اجتاحهما ضوء أسود ، نعم، أسود، كثيف كالحبر، لكنه حي، يتحرك ككائنات مجهرية تحاول التهام الضوء. وعندما انقشع، وجدت نفسها في عالم آخر.

سماء مقلوبة، حيث النجوم تسقط ببطء نحو الأرض، وأرض مغطاة ببحيرات من الزجاج السائل تعكس أشكالًا لا وجود لها في الواقع. على بُعد خطوات، كان هناك برج ملتوي كأنما بُني من عظام وحجارة ميتة، وفي قمته، كان نفس الحجر الأسود، لكن بحجم أكبر من بيت.

خطت خطوة نحوه، لكن الأرض من تحتها انشقت فجأة، وخرجت منها يد هائلة، أصابعها ملتفة بسلاسل حديدية، حاولت الإمساك بها وسحبها للأسفل.

صرخت، لكن الصوت ضاع في هواء ثقيل، في تلك اللحظة، ظهر سِيسامي أمامها، لكن ملامحه لم تكن كما عهدته ، كان وجهه أكثر حدة، عينيه أكبر، وصوته أشبه بزئير مخلوق بريّ:

"تراجعي خلفي، جَمرة!"

وبحركة واحدة، مد يده نحو السماء، فهوت منها صاعقة حمراء اخترقت اليد العملاقة وأعادت سحبها إلى الأعماق وهي تزمجر.

لكنه التفت إليها بعينين يملؤهما القلق، وقال ببطء:

"لقد شعروا بوجودكِ، والآن، سيأتون جميعًا."

وبينما كانت الكلمات تتردد في أذنها، بدأت الأرض من حولهما تهتز، وفي الأفق، كان هناك آلاف من الظلال تزحف نحو البُرج.

الفصل الثاني والأربعون – "حين يقترب الظل"

لم تكن الظلال في الأفق تتحرك، بل كانت تزحف، كأن الأرض نفسها تحملها نحوهما، بعضها كان يشبه البشر، لكن بأطراف طويلة ملتوية، والبعض الآخر بلا وجوه، مجرد هياكل تتحرك على أرجل حادة كالحراب.

جَمرة شعرت بأن الهواء صار أثقل، كل نفس يخرج من صدرها كان يحتاج إلى جهد مضاعف، وكأن هذا العالم قرر أن يحبس أنفاسها ببطء.

سِيسامي وقف أمامها، أطول مما رأته من قبل، جناحان من الدخان الأسود انبسطا خلفه، يمتدان حتى يغطيان الأفق، عيناه تحولت إلى شعلتين متقدتين بلون نحاسي، وصوته خرج كهدير بركان:

"ابقِ خلفي... مهما حدث، لا تتحركي."

لكن جَمرة لم تستطع منع نفسها من النظر حولها، الأرض كانت تتشقق، وتخرج منها أيادٍ صغيرة، أيدٍ بعدد لا يحصى، تحاول سحب أي شيء نحو الأعماق، أحد الأصابع الحديدية لامس حذاءها، وفي اللحظة التي شعرت فيها بالبرودة تزحف من قدمها إلى ركبتها، جذبها سِيسامي للخلف بعنف.

"قلتُ لكِ، لا تتحركي!"

صرخته لم تكن غضبًا، بل خوفًا، وهذا وحده جعل قلبها ينقبض أكثر.

الظلال الآن اقتربت.

الأصوات بدأت، أصوات تشبه الهمس، لكنها كانت تتكلم بلغات لا يعرفها عقل بشري، همساتها كانت تدخل رأسها، تحاول حفر طريقها نحو عقلها، نحو اسمها، وكأنها تبحث عن المفتاح.

أحد الكائنات الأمامية انقض فجأة، وكان سريعًا إلى درجة أن عينيها لم تدركه إلا وهو أمامها مباشرة،

لكن قبل أن يلمسها، ظهر سِيسامي بينهما، قبضته تخترق صدر المخلوق وتخرج من ظهره، لتذوب جثته في الهواء مثل دخان محترق.

ومع ذلك، كلما قتل مخلوقًا، كان يظهر اثنان آخران.

"لن نستطيع البقاء هنا طويلًا!" صاحت جَمرة، وهي تراقب الظلال تحاصرهم من كل جانب.

ابتسم سِيسامي ابتسامة قصيرة، وكأنه اعتاد هذه اللحظات المستحيلة:

"هناك طريق واحد فقط، لكنكِ لن تحبيه."

مد يده نحو الأرض، وبدأ يرسم بظفره علامات متوهجة، كل خط كان يصدر منه صوت أشبه بأنين آلاف الأرواح، الأرض تحت قدميهما بدأت تهوي، كأنها تتحول إلى بئر لا نهاية له.

"اقفزي!"

تجمدت جَمرة، كانت تسمع ما يشبه صرخات قادمة من الأعماق، أصوات لا تريد لها النجاة.

"سِيسامِي، ماذا لو لم يكن هذا طريقًا للهرب؟"

اقترب منها، صوته أصبح أهدأ، لكن عينيه ظلتا مشتعلة:

"إما أن نقفز الآن، أو نصبح جزءًا من هذا الجيش."

في تلك اللحظة، وصلت الموجة الأولى من الكائنات إليهما، وكانت الأذرع السوداء تلتف حول ساقها، تحاول سحبها للخلف.

أمسكها سِيسامي من خصرها، وقبل أن تدرك ما يحدث، قفز بها نحو الظلام.

آخر ما رأته قبل أن يغمرها السواد، كانت آلاف العيون الحمراء تلمع في الأفق، تراقب سقوطهما بصمت.

الفصل الثالث والأربعون – "البئر الذي لا نهاية له"

السقوط...

كان بلا نهاية، بلا اتجاه.

جَمرة شعرت وكأن جسدها يطفو في فراغ لا يعترف بالجاذبية، لكن الريح كانت تمزق شعرها وملابسها كما لو كانت تهوي نحو هاوية أبدية.

تحتها لم يكن هناك أرض، بل بحر من الظلام السائل، يتحرك وكأنه كائن حي. كانت تشعر أن هذا الظلام يراقبها، يمد أصابع غير مرئية نحو روحها، يبحث عن نقطة ضعف لينفذ منها.

سِيسامي كان ممسكًا بها بإحكام، وجهه بلا تعبير، لكن عينيه كانتا مشتعلة بلون أكثر توهجًا من أي وقت مضى، لم يكن يبدو عليه الخوف، لكنه أيضًا لم يكن مرتاحًا.

"إلى أين نحن ذاهبون؟" صاحت جَمرة، لكن صوتها تلاشى في الصمت العجيب للبئر.

"إلى حيث لن يجرؤون على اللحاق بنا، لكن الوصول ليس هو الجزء الأصعب."

شعرت بتيار من البرد يزحف تحت جلدها، ليس بسبب الهواء، بل بسبب الهمسات، كانت تسمعها بوضوح الآن، كلمات لا تعرف معناها، لكنها كانت تعرف أنها تتحدث عنها هي تحديدًا، وكأن كل كائن في هذا الظلام يعرف اسمها.

فجأة، انبثق من الجدران المظلمة للبئر شيء يشبه الأذرع، طويلة وملتوية، بعضها مغطى بجلد متشقق،

والبعض الآخر بلا جلد على الإطلاق، الأذرع لم تحاول لمس سِيسامي، لكنها جميعًا كانت موجهة نحوها هي.

"سِيسامي! إنها تحاول أخذي!"

"لا تنظري إليها، ولا تردي على أي صوت تسمعينه!"

لكن كيف يمكنها ألا تنظر؟

إحدى الأذرع اقتربت حتى لامست خدها، وكانت باردة إلى درجة أن قلبها توقف لجزء من الثانية. وعندها، لمست عقلها، فجأة، وجدت نفسها ترى مشاهد غريبة: غرفة طفولتها، ثم وجه أمها وهي تبكي، ثم قبر صغير لم تعرف لمن هو.

"إنها تبحث عنكِ"، قال سِيسامي وهو يقطع ذراعًا بضربة واحدة من مخلبه المشتعل، "تحاول أن تعرف لماذا أنا هنا من أجلك."

لكن الظلام لم يتوقف، بل اشتد هياجًا.

البحر الأسود في الأسفل بدأ يقترب بسرعة، وكأنهما يسقطان في فم وحش عملاق، وعندما لامس سِيسامي سطحه، لم يحدث ارتطام، بل ابتلعتهما المادة السوداء تمامًا، كما يبتلع الحبر صفحة بيضاء.

كل شيء تغير.

جَمرة وجدت نفسها واقفة على أرض من زجاج، وأسفلها كان فراغ لا ينتهي. فوقها سماء حمراء مغطاة بشقوق نازفة، ومن تلك الشقوق كانت تتدلى أجساد بشرية تتحرك بلا وعي، تتلوى وكأنها تحاول الإفلات.

سِيسامي قال بصوت منخفض:

"نحن في عتبة العرش، هنا فقط أستطيع أن أحميك. لكن لا تثقي بالمكان، فهو كائن حي، ينتظر الفرصة ليبتلعك أنتِ أيضًا."

خطوات خافتة جاءت من بعيد، لكن لم يكن هناك أرض ليأتي منها أحد، ومع ذلك، ظهر رجل طويل القامة، مغطى بعباءة سوداء، ووجهه ملفوف بضمادات قديمة، كانت الضمادات تتحرك كأن تحتها شيئًا يتنفس.

"أخيرًا... أتيتِ، يا جَمرة."

تجمدت الدماء في عروقها، كيف يعرف اسمها؟!

التفتت نحو سِيسامي، لكنها صُدمت عندما وجدته يقف بلا حركة، وكأن هذا القادم يملك سلطة عليه أيضًا.

الفصل الرابع والأربعون – "صاحب الضمادات"

كان الصمت في ذلك المكان أثقل من أي جدار، حتى أن أنفاس جَمرة بدت وكأنها صرخات صغيرة في بحر من السكون.

الرجل المغلف بالضمادات لم يتحرك كثيرًا، لكنه كان يملأ الفضاء بحضوره، وكأن الفراغ نفسه ينكمش ليتسع له.

سِيسامي ظل ثابتًا، حدقته تتقد لكنها بلا هجوم، وهذا ما جعل قلب جَمرة ينكمش أكثر، إذا كان المارد، الذي رأته يمزق كائنات الظلام، يقف الآن بلا فعل، فذلك يعني أن هذا القادم ليس خصمًا عاديًا.

الرجل بصوت مبحوح، كأنه يخرج من أعماق بئر قديم:

"أتعرفين كم من الوقت انتظرتكِ يا جَمرة؟"

لم ترد، كانت عيناها تبحثان في ملامحه عن أي بقايا لوجه بشري، لكنها لم تجد سوى الضمادات التي تتحرك كأفعى تتنفس ببطء.

سِيسامي بصوت منخفض وحاد:

"أنت، لست مرحبًا بك هنا."

ضحك الرجل، وكانت ضحكته أشبه بصوت العظام وهي تتكسر.

"مُرحب بي أو لا، أنت تعرف أنني أملك الحق في رؤيتها."

جَمرة شعرت أن شيئًا ما في داخلهما يتحدث بلغة ليست من هذا العالم.

لكن قبل أن تسأل، تحرك الرجل بخطوة واحدة، وكأن الأرض من تحته امتدت لتوصله إليها، حتى أصبح على بعد أنفاس منها.

الرائحة، لم تكن رائحة إنسان، بل مزيج من التراب القديم والدم الذي مضى عليه قرون.

مد يده المغطاة بالضمادات، وأصابعها كانت طويلة بشكل غير طبيعي، كل واحدة ملتفة كالأفعى، ثم قال:

"أخبريني، هل سمعتِ الإسم من قبل؟"

تراجعت جَمرة، وهي تحاول ألا تدع صوته يتسلل لعقلها، لكنه كان يتردد داخلها، كأنه صوت أفكارها هي.

جَمرة : "أي اسم؟"

ابتسمت الضمادات، أو على الأقل بدت وكأنها تفعل ذلك.

"سِيسامي."

تجمد جسدها، كيف يعرف؟!

لكن الأكثر رعبًا كان نظرة سِيسامي نفسه، فقد أدار وجهه عنها للحظة، وكأن هذا الكشف لم يكن جزءًا من خطته.

جَمرة بصوت متقطع:

"ماذا، تريد مني؟"

إقترب أكثر حتى كادت أصابعه تلمس جبينها، وقال بصوت أشبه بهسيس النيران تحت الماء:

"أريد أن أريكِ ما هو، حقًا."

وفي تلك اللحظة، تحرك سِيسامي فجأة بسرعة غير بشرية، قابضًا على ذراع الرجل بعنف.

أطلقت الضمادات صرخة عالية، لم تكن صرخة ألم، بل كانت أشبه بإنذار. وفجأة، بدأ المكان يهتز، والزجاج تحت أقدامهم تصدع، والسماء الحمراء انفتحت أكثر، لينهمر منها وابل من الأذرع السوداء، المعركة لم تكن عادلة، كل شيء تحرك في وقت واحد:

الأذرع تهاجم جَمرة، سِيسامي يشتبك مع الرجل في دوامة من الظلال والنيران، والسماء نفسها بدت وكأنها تنهار على رؤوسهم.

لكن قبل أن تدرك ما يجري، وجدت نفسها تُسحب للخلف بقوة غير مرئية، حتى لم تعد ترى سوى الظلام، ثم فراغ كامل، ثم، لا شيء.

الفصل الخامس والأربعون – "ظلال ما قبل الصرخة"

كانت جَمرة تشعر أن الليل تلك الليلة قد اتفق مع الظلام ليدفنها في أعماق لا تعرف لها بابًا للخروج.

الريح تصفر بين النوافذ القديمة، كأنها أنفاس كائن يترصد خطواتها، والبيت العتيق من حولها يئن تحت وطأة سرّ دفين.

كل شيء كان ساكنًا، إلى أن بدأ الصمت يتشقق.

صوت خطوات بطيئة، ثقيلة، يأتي من الممر الضيق المؤدي إلى الغرفة، لم يكن وقعها عادياً؛ كان أشبه بطَرق على قلبها من الداخل.

مدّت يدها نحو باب الغرفة وهي تمسك المقبض المرتجف، وعيناها تراقبان الظلال وهي تتحرك على الجدران كما لو كانت تحيا.

همسٌ غريب تسلل إلى أذنها:

«جَمرة..»

تجمدت الدماء في عروقها، كان الصوت خلفها، لكنها كانت متأكدة أن لا أحد معها.

التفتت ببطء، ولم تجد شيئًا.

لكن في الزاوية البعيدة، بدأ الظلام يتكدّس، يتكثف، حتى اتخذ شكلًا بشريًا، ثم شكلًا أكبر، أوسع، قرنان معوجّان، وعينان تلمعان بلون جمر مشتعل.

لم يكن ذلك كابوسًا هذه المرة، إنه هو، "سِيسامي."

لكن ظهوره لم يكن كاملاً، كان نصفه يختفي في دخان أسود يتحرك كأن له وعيًا خاصًا، والنصف الآخر يراقبها بثبات.

مدّ يده، أو ما يشبه اليد، نحوها، لكن فجأة دوى صوت إرتطام من الممر.

تراجعت جمرة خطوة، لكن سِيسامي إلتفّ بسرعة خاطفة، كأنه يترقب شيئًا آخر، شيئًا أخطر منه.

«ليس وقتكِ بعد..» قالها بصوت غليظ، ثم تبخر كما ظهر.

لم تكد أنفاسها تعود إلى صدرها، حتى لاحظت أن باب الغرفة يُفتح ببطء، وحده، بلا يد.

وعند العتبة، وقفت امرأة لا ملامح لها، وجهها مغطى بشعر أسود طويل ينسدل حتى الأرض، تتحرك وكأنها تنزلق، بلا خطوات.

الريح أطفأت الشمعة، والظلام ابتلع المكان.

وفي تلك اللحظة، أدركت جمرة أن سِيسامي، رغم رعبه، لم يكن دائمًا الخطر الأكبر.

الفصل السادس والأربعون – "بين أنياب الليل"

لم تنم جمرة تلك الليلة، فقد بقيت تحدق في العتمة وكأنها تنتظر أن تبتلعها.

الهمسات التي سمعتها لم تختفِ، بل صارت تتردد في أذنها كصدى بعيد، أحيانًا تعرف الكلمات، وأحيانًا تصبح مجرد حروف متقطعة، لكنها دائمًا تحمل شعورًا واحدًا، التحذير.

كانت الساعة تقترب من الثالثة فجرًا، حين بدأت جدران الغرفة تصدر طقطقة خفيفة، كأن الخشب يتمدد وينكمش من حرارة غير موجودة.

شعرت أن الهواء نفسه أصبح أثقل، وكأنها تتنفس من خلال ماء كثيف.

وفجأة، رأت شيئًا يتحرك في سقف الغرفة، ظلّ يزحف ببطء شديد، ثم توقف فوق رأسها تمامًا.

قبل أن تتمكن من الصراخ، سقط أمامها، كيان طويل الأطراف، جلده مثل جلد الحية، وعيونه بلا جفن، تلمع باللون الأبيض الخافت.

اقترب منها، وصوته حاد يخترق أذنها:

«أنتِ، لم تعودي وحدكِ.»

تراجعت جمرة وهي تبحث عن أي شيء للدفاع عن نفسها، لكن الباب أغلق بعنف من تلقاء نفسه.

وفي اللحظة التي مدّ ذلك الكائن يده ليلمسها، انشق الظلام خلفه فجأة، وخرج منه سِيسامي، ضخمًا، متوهج العينين، كما لو أن النار تحترق من داخله.

زمجر بصوت جعل الجدران ترتجف:

«ابتعد عنها!»

لم ينتظر الكائن الآخر، بل هاجم سِيسامِي بسرعة، والهواء من حولهما بدأ يغلي من شدة الطاقة التي انبعثت في الغرفة.

كانت جمرة ملتصقة بالجدار، تشاهد الاشتباك بين مخلوقين كلاهما أكبر من قدرتها على الفهم.

ضربات، زمجرة، وصرير مخيف، حتى اندفع الكائن الغريب إلى الخلف وابتلعته الظلال.

تقدم سِيسامي نحوها، وصوته أبطأ هذه المرة:

«جَمرة! تذكري، ليس كل ما تراه عيناك هو العدو.»

أرادت سؤاله عمّا يقصده، لكنه اختفى في لحظة، تاركًا خلفه رائحة دخان، وإحساسًا بأن الليل لم ينتهِ بعد.

وفي أذنيها، بقي صوت خافت، كأن أحدهم يهمس من بعيد:

«أربع ليالٍ فقط، ثم يبدأ كل شيء.»

الفصل السابع والأربعون – "الليلة التي ابتسم فيها الظلام"

لم تكن جمرة تعرف إن كانت نائمة أم مستيقظة، كل ما تعرفه أن العالم من حولها تغيّر فجأة.

كانت واقفة في منتصف ممر طويل، جدرانه من حجارة سوداء لامعة، والأرضية تلمع كأنها مبللة بدماء طازجة.

لا نوافذ، ولا أبواب، فقط الممر يمتد أمامها بلا نهاية، وفي آخره ضوء أحمر نابض، كقلب عملاق ينبض في الظلام.

خطوة، ثم خطوة..

ومع كل خطوة، تسمع أنفاسًا ثقيلة خلفها، لكنها حين تلتفت لا ترى شيئًا.

إلى أن شعرت بشيء بارد يمر بجانب أذنها، يهمس:

«جمرة، نحن نراكِ.»

تجمد الدم في عروقها، لكن جسدها لم يطع عقلها، فأكملت السير نحو ذلك الضوء.

كلما اقتربت، صارت الجدران تنزف، والدم ينساب نحو قدميها، حتى شعرت أن الأرض تمسك بها وتمنعها من التراجع.

وفجأة، انطفأ الضوء.

وتحت الصمت الثقيل، بدأ شيء يضحك، ضحكة عميقة، ملتوية، كأن الظلام نفسه يبتسم بسخرية.

من أعماق الظلام، برزت وجوه، كثيرة، ممدودة، بلا ملامح واضحة، تفتح أفواهها وكأنها تصرخ، لكن الصوت الوحيد الذي سمعته هو الخطوات الثقيلة تقترب.

وقبل أن يلامسها أحد، شقّ الليل صرخة هادرة:

" تراجعي! "

ظهر سِيسامي فجأة، عينيه متوهجتان كجمرتين، وذراعيه تمتدان ليصدّ شيئًا لم تستطع جمرة رؤيته بوضوح، سوى أنه كان ضخمًا بما يكفي ليملأ الممر كله.

الظلال من حولهم بدت وكأنها تتلوى وتتغذى على الصراع، والجدران نفسها بدأت تنكمش نحو الداخل، تضيق أكثر فأكثر.

صرخ سِيسامي وهو يدفع المخلوق بعيدًا:

— «أربعة ليالٍ يا جمرة، تمسّكي بما تبقى من عقلك.»

وقبل أن تتمكن من سؤاله، انهار كل شيء من حولها،

لتستيقظ وهي على سريرها، تتصبب عرقًا، لكن أصابع قدمها ما زالت مبللة، بدمٍ لم يكن موجودًا حين أغلقت عينيها.

الفصل الثامن والأربعون – "حين أغمض الليلُ عينيه"

كانت جمرة تشعر منذ بداية تلك الليلة أن كل شيء من حولها يراقبها، حتى الجدران التي ظنتها مألوفة.

المكان نفسه الذي قضت فيه الأيام الأخيرة، تحوّل فجأة إلى متاهة خانقة؛ الأثاث تغيّر موضعه وكأن يدًا خفية تعبث به كلما رمشت.

النافذة التي كانت تطل على الشارع، صارت تفتح على ظلامٍ كامل، ظلام ليس فيه قمر ولا نجوم، وكأن السماء سقطت وابتلعتها هاوية لا نهاية لها.

جلست على حافة السرير، تنصت.

الصوت الأول الذي سمعته كان خافتًا، يشبه قطرات ماء تتساقط في مكان بعيد، لكن شيئًا ما جعل قلبها يخفق بقوة.

تلك القطرات كانت تتقارب، حتى صارت كأنها خطوات، خطوات رطبة، تلتصق بالأرض وكأن القادم إليها مغمور بالوحل، أو الدم.

همست لنفسها:

"ليس حقيقيًا، هذا ليس حقيقيًا.."

لكن الجدران بدأت تتنفس، نعم، تتنفس.

كان الهواء يضيق في الغرفة، والحرارة ترتفع، حتى شعرت بضغط غير مرئي يحيط برأسها.

ثم جاء الصوت، صوت ثقيل وعميق، من مكان قريب جدًا:

"جمرة، هل تعلمين ماذا سيحدث إذا توقفتِ عن الهرب؟"

تجمدت، لم تجرؤ على الإجابة، لم تجرؤ حتى على الالتفات، لكن الظلام الذي كان خلفها بدأ يتحرك، يزحف على الأرض، ويتمدد كأنه سائل حي، حتى وصل إلى قدميها.

وفي اللحظة التي شعرت فيها بأن الأرض ستبتلعها، جاء وميض، ليس كضوء عادي، بل كشرخ في الواقع نفسه.

ومن ذلك الشرخ خرج سِيسامي، عينيه تتقدان بجمرٍ لا يطفأ، وصوته يملأ المكان:

"لقد قلت لكِ... لا تجيبيهم أبداً."

اندفع نحو الظلام، يقطع المسافة بخطوات غير بشرية، وذراعيه ترتفعان كجناحين هائلين، وفي كل ضربة منه يتراجع ذلك السواد، لكنّه كان يعود، أقوى، كأنه يغضب من وجوده.

رأته لأول مرة عن قرب، لم يكن مجرد مارد كما في الحكايات التي سمعتها طفلة، كان أكبر من أن يُختصر في وصف، كان كيانًا بين النار والظل، ملامحه تتغير مع كل حركة، كأنّه مخلوق يعيش في أكثر من بُعد في وقت واحد.

إلتفت نحوها وسط المعركة، وعيناه تخترقان قلبها:

"إذا فتحتِ الباب في الغد... سينتهي كل شيء."

لكن قبل أن تسأل أي باب، صرخت الجدران بصوت واحد، وانطفأ كل شيء.

عادت تجد نفسها وحيدة، والنافذة هذه المرة كانت مفتوحة على سماء، لكنها لم تكن سماء الأرض.

الفصل التاسع والأربعون – "العين التي لا تنام"

لم تنم جمرة تلك الليلة، أو ربما نامت، لكن في مكان آخر، مكان لا يشبه أي حلم أو كابوس عرفته من قبل.

كانت جالسة على أرض باردة، رطبة، وكأنها غارقة في قاع بئرٍ قديم، بينما جدران لا مرئية تحاصرها.

الهواء حولها كان ثقيلًا، متخثرًا، يلتصق بجلدها كما يلتصق الدم المجفف بالجروح.

ومع كل نفس، كانت تسمع صوتًا غريبًا، ليس خرير ماء، ولا صفير ريح، بل صوت مضغ، بطيء وممتع، كأن أحدهم يلتهم شيئًا طريًا، يقطعه بأسنان طويلة، ويبتلع ببطء حتى آخر ذرة.

أرادت أن تصرخ، لكن حلقها كان جافًا كالأرض المحروقة، ولسانها ثقيل، لا يتحرك.

ثم انبثق أمامها نور أحمر، خافت أول الأمر، ثم تمدد كالنار في الزيت، حتى صار عينًا واحدة، ضخمة، عائمة في الفراغ، تحدق فيها بلا رمش،

لم تكن عينًا بشرية، ولا حتى حيوانية، بل عين تحمل في أعماقها وعيًا شريرًا، وكأن الكون كله انضغط ليصير نظرة واحدة، نحوها.

همس صوت لا يحتاج إلى فم:

"لقد رأيتكِ منذ ولدتِ، جمرة، رأيت أول دمعة، وأول رعشة خوف، والآن جاء وقت الحصاد."

شعرت أن شيئًا يزحف على ظهرها، أصابع طويلة، رفيعة، باردة كالموت، تتحرك ببطء على جلدها، وكأنها تتذوقه قبل أن تغرس نفسها فيه.

حاولت النهوض، لكن الأرض تحتها كانت تتحرك معها، تتراجع، وتنزلق، وكأنها تقف على حافة هاوية يبتلعها السواد.

من العتمة، ارتفعت ضحكة، ليست ضحكة شخص واحد، بل ضحكة آلاف الحناجر التي تتكلم معًا، صوتها يتردد في رأسها حتى شعرت أن جمجمتها ستنفجر.

"لقد حاول سِيسامي أن يحميك، لكنه لا يستطيع أن يمنع ما كُتب."

ثم، انفجر الظلام، ومنه خرجت أشكال بلا ملامح، أطياف بشرية نحيلة تتحرك على أطراف أصابعها، رؤوسها ملتوية، وجوهها مسطحة بلا عيون أو أفواه، لكنها تهمس بلغات ميتة، أصواتهم كالزحف على العظام.

كلماتهم لم تفهمها، لكن قلبها كان يعرف، كانوا يلعنونها.

الأطياف اقتربت ببطء، حتى شعرت ببرودة أنفاسهم على وجهها، ومد أحدهم يده، أصابعه تشبه العناكب، لتلمس جبهتها،

وفجأة، اهتز المكان كله بصوت هدير يشبه انهيار جبل:

"تَراجَع!"

ظهر سِيسامي من بين الشقوق، هائل الحجم، متوهجًا بوميض ناري، عيونه كالكواكب المشتعلة، وصوته كالرعد الممزوج بالغضب:

"عُد إلى جحيمك قبل أن أجعلك رمادًا!"

لكن العين الحمراء لم تختفِ، بل اتسعت أكثر، وضحكتها أصبحت كعاصفة، وصوتها شق المكان:

"أنتَ تعرف أن وقتك يقترب يا سِيسامي، وعندما يسقط ظلك، ستسقط معها."

الأطياف لم تختفِ، بل اشتعلت حولها شرارات سوداء، وكأن الظلام نفسه صار حيًّا.

هزت الأرض بعنف، وسقطت جمرة في هاوية بلا قاع، وهي ترى فوقها المارد والعين يشتبكان، النيران والظلام يلتهمان بعضهما في دوامة جحيمية، حتى انكمش كل شيء وصار نقطة سوداء...

ثم فتحت عينيها، لتجد نفسها على سريرها، النافذة مغلقة، الليل هادئ.

لكن هناك، على الجدار المقابل، كانت ظل عين واحدة، تتحرك ببطء، ثم تختفي.

ولأول مرة منذ بداية كل هذا، شعرت أن حتى استيقاظها، لم يكن أمانًا.

الفصل الخمسون – "حين يختنق الضوء"

لم تكن جمرة تعرف كم من الوقت مرّ وهي تحدق في سقف غرفتها، بعد تلك الليلة الملعونة التي واجهت فيها العين.

لكن شيئًا ما تغيّر، الهواء لم يعد هواءً، كان أثقل، كأنها تتنفس غبار مقبرة.

كانت الغرفة هادئة، هدوءًا مريبًا، من النوع الذي يسبق العاصفة.

حتى عقارب الساعة، توقفت.

أحست بجلدها يقشعر فجأة، وبرودة تسري في أطرافها، ثم جاء ذلك الصوت، همسة لا يمكن أن تأتي من أي إنسان:

"هل ظننتِ أن الاستيقاظ سينقذك؟"

إلتفتت بسرعة، فلم ترَ أحدًا، لكن الظل في زاوية الغرفة لم يكن ظلها.

كان ظل شخص واقف، طويل القامة، رأسه مائل كطائر يحدق في فريسته، وأصابعه طويلة، تتحرك ببطء كأنها تكتب شيئًا على الجدار.

أرادت الصراخ، لكن الهواء في صدرها تجمد.

ثم، بدأ الظل يزحف على الجدار، لا، لم يكن يزحف، كان يتمدد، وكأنه يخرج من السطح نفسه.

حين اقترب، استطاعت أن ترى أن يديه لم تكونا بشريتين، بل أطرافًا حادة، ملتوية، تتقوس كالخطافات.

وفجأة، انطفأ كل ضوء في الغرفة، صارت كل الألوان رمادية،

ولم يبقَ سوى شيء واحد مضيء: العين الحمراء، تفتح ببطء في سقف الغرفة.

همس الصوت ثانية، هذه المرة أقرب، حتى شعرت بحرارته على أذنها:

> "جمرة، لقد وضعتِ قدمك في أرض لا تعود منها الأرواح، كل نفس تأخذينه هنا، هو دين ستدفعينه."

بدأت الجدران تتحرك. لا، لم تتحرك، بل تنكمش، تضيق عليها، ووجوه مشوهة ظهرت من داخل الحوائط، أفواهها مفتوحة تصرخ بلا صوت، وعيونها غائرة تراقبها.

إحدى تلك الوجوه خرجت نصفها من الجدار، وابتسمت بِفم ممزق حتى الأذنين، ثم مدّت لسانًا أسود طويلًا نحوها.

صرخت جمرة، وفي تلك اللحظة اهتزت الأرض تحتها، وانشق الظلام كأن شيئًا يثب من داخله.

كان سِيسامي، يخرج كبركان مشتعل، عينيه تلمعان بلهيب غاضب، يده العملاقة تمسك بالظل وتسحقه حتى تلاشى كدخان.

لكن قبل أن يختفي الظل تمامًا، سمعته يضحك بصوت مبحوح:

"لن تستطيع حمايتها إلى الأبد، أيها مارد، نحن العين، ونحن الجدار، ونحن الهواء الذي تتنفسه."

اختفى كل شيء فجأة.

الغرفة عادت إلى حالتها الطبيعية، الضوء عاد، عقارب الساعة عادت تدور.

لكن جمرة لاحظت شيئًا، على المرآة المقابلة لسريرها، كانت هناك بصمة حمراء، على شكل عين.

ولم تمحُها حتى بعد أن مسحتها بيدها، بل التصقت بجلدها، وكأنها وُشِمت عليه.

الفصل الحادي والخمسون – "وسم شيطان علوي أزرق"

كانت جمرة تحدق في يدها، في تلك العلامة التي رفضت أن تزول منذ أن ظهرت، لم تكن مجرد وشم، بل شيئًا حيًا يزحف تحت جلدها، كأن حبره ليس حبرًا بل دمًا آخر ينبض داخلها.

حاولت خدشها، فسال الدم، لكن العلامة لم تختفِ، بل ازداد وضوحها، كأنها تغذت على جرحها.

شعرت بأن برودة لاذعة تسري من مكانها، تتغلغل في عروقها، تصعد نحو كتفها، ثم تلتف حول قلبها كأفعى بطيئة، تضغط وتفلت، حتى أصبح تنفسها أثقل من المعتاد.

وفجأة، جاء الصوت، لم يخرج من الغرفة، بل من داخل عظامها نفسها:

"جمرة... لقد وُسِمتِ."

ارتجفت، والتفتت تبحث عن المصدر، لكن الغرفة كانت فارغة، عندها لفت نظرها شيء غريب في المرآة، انعكاسها لم يكن يكرر حركاتها، كان واقفًا ساكنًا، يبتسم ببرود، وعيناه يكسوهما بريق شيطاني.

رفع الانعكاس يده، ليُظهر العلامة ذاتها، لكن حولها رموز ملتوية تتحرك، كأنها أحرف من لغة نُسيت قبل أن يولد الزمن.

ابتسم الانعكاس وهمس، وصوته لم يأتِ من فمه بل من عمق رأسها:

"هذا هو وسم شيطان علوي أزرق... وُضع على القليلين فقط منذ خلق العوالم. أنت الآن جزء من العهد، والعهد لا يُكسر إلا بالموت."

قبل أن تستوعب ما سمعت، انطفأ الضوء فجأة، وثقل هواء الغرفة حتى شعرت أن جدرانها تقترب.

شيء ضخم وقف خلفها... ظله ابتلعها بالكامل.

جاء الصوت عميقًا كهدير البركان:

"ابتعدوا عنها."

كان سِيسامي، لكن وجهه كان مختلفًا، التشققات تغطي بشرته، وخطوط متوهجة بلون غامق تسري عليه، وكأن الوسم على جسد جمرة قد انتقل أثره إليه أيضًا.

اقترب منها، عينيه لا تفارقان العلامة، وقال بلهجة مختنقة:

"لقد استدعوكِ، لقد فتحتِ باب أزرق."

في اللحظة التالية، تهشمت المرآة كزجاج يغرق في الماء، واندفعت منها يد عملاقة، أصابعها كالمخالب، تنبض بالقوة، وبدأت تزحف نحوها.

سِيسامي أمسك بجمرة، لكن الحرارة في الوسم اشتعلت، وامتلأ الهواء بهمسات متداخلة، بعضها يضحك وبعضها يبكي وبعضها ينطق اسمها ببطء كتعويذة لعنة:

"جَمـ... رة... جَمـ... رة..."

ثم انفجر المكان بضوء داكن، لتجد نفسها في عالم آخر، سماء سوداء بلا نجوم، أرض متشققة، وضباب أسود يلتف حولها، بينما خطوات ثقيلة تقترب، أبطأ من أن تكون بشرية، وأقوى من أن تكون مجرد ظل.

الفصل الثاني والخمسون – "أولى خطوات أزرق"

كانت جمرة واقفة وسط الفراغ الأسود، حيث لا سماء ولا أرض كما تعرفهما، فقط أرض متشققة

تنفث بخارًا ساخنًا، وضباب أسود يلتف حول ساقيها، يلسع بشرتها كأنه كائن حي يحاول التسلل إلى داخلها.

الخطوات، تلك الخطوات كانت بطيئة، لكنها تحمل ثقلًا كفيلًا بتمزيق الأرض تحتها.

كل دويّ منها كان يهز ضلوعها، وكأن قلبها يضرب مع إيقاعه رغمًا عنها.

من بين الضباب، برزت أولاً يد، ضخمة بشكل مرعب، أصابعها طويلة ومفصلاتها بارزة، وعلى ظهرها نفس الرموز الملتوية التي تحيط بـ وسم الشيطان العلوي الأزرق في جسدها.

ثم ظهر جزء من وجهه، بشرة كالرماد، وابتسامة باردة تكشف عن أنياب سوداء.

توقف على بعد خطوات، وصوته لم يأتِ من فمه، بل من كل اتجاه:

"وأخيرًا... جَمرة."

ارتجف اسمها وهو يخرج من فمه، كأنه ينساب عبر جدار من الحمم.

لم تستطع التحدث، لكن الوسم على يدها بدأ ينبض، يتوهج، ثم يتصل بخيط من الضوء الداكن نحو ذلك الكائن، شعرت كأن روحها تُسحب من مكانها.

فجأة، شعرت بقبضة حديدية تمسك كتفها بقوة وتسحبها إلى الوراء، كان سِيسامي، لكن ملامحه كانت أكثر توترًا من أي وقت مضى.

"لا تنظري في عينيه يا جمرة، إن فعلتِ، لن تعودي أنتِ."

لكن أزرق ابتسم، وخطى خطوة أخرى للأمام، والضباب خلفه بدأ يتحرك كأن به أرواحًا تتلوى وتصرخ.

مد يده نحوها ببطء، وصوت همسه كاد يشق عقلها نصفين:

"أنتِ مُختارة، لا يمكنكِ الهرب من عهدك، فالدم الذي وُسم به جلدك هو من دمي."

الرموز على الوسم اشتعلت فجأة، وبدأت تنتشر على ذراعها مثل حريق أزرق قاتم، وكلما حاول سِيسامي لمسها، كان الشرر يقذفه بعيدًا.

"إنه يحاول دمج عالمك بعالمه!" صاح سِيسامي، وهو يمد يده ويشكل دائرة من النيران السوداء ليوقف التمدد، لكن أزرق كان يضحك، ضحكة عميقة، تشبه انهيار جبل في وادٍ مغلق.

الأرض تحت قدمي جمرة بدأت تتشقق، ومن الشقوق خرجت أذرع دخانية تلتف حول ساقيها، تجذبها للأسفل.

صرخت، لكنها شعرت أن صوتها لا يتجاوز حدود حلقها.

في اللحظة الأخيرة، قفز سِيسامي أمامها، وفتح ذراعيه، فاندفعت موجة مظلمة طردت الأذرع لثوانٍ، ثم التفت إليها:

"هذا ليس وقت المقاومة يا جمرة، نحن بحاجة إلى صفقة!"

لكن أزرق أوقفه بابتسامة ساخرة:

"لا صفقات مع من يحمل وسم شيطان علوي أزرق، إما أن تخضع، أو تُمحى."

وفي تلك اللحظة، بدأ الضباب يلتف ليأخذ شكل بوابة، ومن داخلها ظهر شيء أسوأ من الظلال نفسها، عيون كثيرة، تفتح وتغلق، تراقبها من العدم.

الفصل الثالث والخمسون – "البوابة التي تبتلع الأرواح"

كان الضباب قد اتخذ شكل بوابة هائلة، تحيطها سلاسل متوهجة تتلوى كالأفاعي، تتنفس كأنها كائن حي ينتظر فريسته، من داخل البوابة، كانت العيون تفتح وتغلق بلا نظام، بعضها واسع كفوهة بئر، وبعضها صغير كعين طفل، لكنها جميعًا تحدق مباشرة في جمرة، وكأنها تعرف كل ذنب ارتكبته في حياتها.

ارتجفت، ولم تكن تعرف ما إذا كان جسدها هو من يرتعش أم روحها.

سمعت صوت أزرق، لكن هذه المرة لم يكن من الخارج، بل من أعماق عقلها:

"تعالي، خطوة واحدة، وأُريك كيف يموت الموت نفسه."

شعرت بأرضية العالم المظلم تحت قدميها تتحول إلى سطح لزج ينبض، وكأنها تقف فوق قلب ضخم، الأذرع الدخانية التي حاولت سحبها قبل لحظات عادت، لكن هذه المرة كانت أكثر برودة من الجليد، وأكثر قوة، أحد الأصابع اخترق جلد ساقها وكأنه يذيب اللحم، فأطلقت صرخة مكتومة.

قفز سِيسامي أمامها، واندفعت من جسده دوامة من النار السوداء، لكن البوابة امتصت النيران كما لو كانت تتغذى عليها.

"اللعنة، جَمرة! لا تدعيه يتحدث معك!"

لكن كيف تمنع صوتًا يهمس داخل قلبك مباشرة؟

صوت أزرق كان يزداد وضوحًا، حتى أحست به يتنفس من خلال رئتيها:

"أنتِ تحملين وسم شيطان علوي أزرق، أنتِ مفتاحي، وبدونك لن أستطيع العبور."

الأرض من حولهم بدأت تتشقق أكثر، والصدوع أطلقت بخارًا أحمر داكن، تفوح منه رائحة لحم محترق.

من الشقوق، خرجت كائنات مشوهة، أطرافها ملتوية بطرق لا يفترض أن تتحرك بها، وجلودها ممزقة تكشف عن عضلات تنبض ببطء، وعيونها معلقة بخيوط لحمية تتأرجح وهي تحدق بها.

إحدى تلك الكائنات قفزت نحو جمرة، لكنها لم تصل، يد ضخمة، مغطاة بخطوط الوسم نفسه، أمسكت بها وسحبتها للخلف. لم يكن سِيسامي هذه المرة، بل أزرق نفسه، واقفًا الآن خارج البوابة، جسده يتجاوز حجم أي إنسان، وعيناه تشعان بنور أزرق قاتم، يبتسم كما لو كان كل شيء تحت سيطرته.

"خطوة واحدة يا جَمرة، وأمنحك قوة تُسقط العوالم."

لكن قبل أن تستطيع الرد، انغلق الضباب من خلفه فجأة، وانطلقت يد أخرى من العدم، لكنها لم تكن يده، بل يد مغطاة برموز مختلفة، رموز لم يرها حتى سِيسامي من قبل، أمسكت بالبوابة من الداخل، وبدأت تجذب أزرق إلى الخلف.

صرخ أزرق لأول مرة، صرخة مزقت الضباب وأطفأت كل العيون، قبل أن تتحول الأرض تحتهم إلى دوامة من الظلام تسحبهم جميعًا.

كل ما رأته جمرة قبل أن يُبتلع المشهد كان وجه أزرق، يحدق بها بغضب ووعيد، ثم اختفى كل شيء، وسقطت في صمت مطلق.

الفصل الرابع والخمسون – "أمعاء العالم السفلي"

عندما فتحت جمرة عينيها، لم يكن هناك سماء، ولا أرض، فقط كتلة هائلة من اللحم النابض، تمتد بلا

نهاية في جميع الاتجاهات، تتلوى وتصدر أصواتًا أشبه بالنبض، لكن النبض كان بطيئًا وثقيلاً، وكأنها تستمع إلى قلب مريض يحتضر منذ آلاف السنين.

كانت معلقة في الهواء بواسطة خيوط لحمية خرجت من جدار هذا الكيان العملاق، تتشبث بمعصميها وكاحليها، حاولت الحركة، لكن الخيوط كانت تنبض، وتضخ في جسدها برودة قاتلة، أحست بها تتسرب من أطراف أصابعها إلى قلبها.

فجأة، جاء صوت أزرق، لكنه لم يكن واثقًا كما في السابق... كان صوته مشوهًا، يختلط مع أنين الكيان المحيط بها:

"جَمرة، هذا ليس مكاني، وهذا ليس عالمك."

من بين الطيات اللحمية، بدأت العيون تفتح، لكن هذه المرة كانت بلا جفون، مجرد فتحات دائرية، يخرج منها سائل أسود يتساقط على جسدها، حيثما لامس السائل بشرتها، شعرت بآلاف الإبر تخترقها، كأن السائل يحاول حفر اسمها داخل لحمها.

انبعثت من الأعماق صيحات بعيدة، صيحات بشرية، لكنها لم تكن من بشر طبيعيين، كانت كلمات مقطوعة، أشبه بمحاولة من أحدهم للتحدث وفمه مليء بالدم.

"... اخرجي... قبل أن... تصبحين واحدة منّا."

ظهر سِيسامي فجأة من خلف إحدى الفتحات، لكنه لم يكن بكامل هيئته، نصف جسده بدا متآكلاً، كأن شيئًا ما التهمه، وعيناه كانتا تتحركان بسرعة في كل اتجاه، وكأنه يتأكد أن هذا المكان لم ينتبه إليه بعد.

"جمرة، اسمعيني جيدًا، هذا المكان... هو أمعاء العالم السفلي، إذا بقيتِ هنا طويلًا، سيعيد تشكيلك، لتصبحين جزءًا منه."

لكن قبل أن تكمل فهم ما قاله، تحركت جدران الكيان فجأة، وتقلص المكان كما لو كان يبتلع شيئًا، الخيوط التي كانت تمسكها بدأت تسحبها ببطء نحو فتحة مظلمة، الفتحة كانت تتنفس، والزفير منها كان يطلق بخارًا أحمر حارقًا، أما الشهيق، فكان يسحب معها كل الأجساد المعلقة في الجدران.

بينما كانت تقترب، رأت وجوهًا محفورة في اللحم، بعضها يبكي، بعضها يصرخ، وبعضها يبتسم بابتسامة مريضة، وكلها تتبعها بأعينها أينما تحركت.

أطلق سِيسامي زئيرًا وأطلق موجة نارية، لكن الجدران امتصت النيران كما لو كانت تتغذى عليها، وارتفعت حرارة الكيان حتى شعرت جمرة أن عظامها على وشك الذوبان.

ثم، ومن أعماق الفتحة المظلمة، خرجت يد ضخمة، مغطاة بالرموز نفسها التي على جسد أزرق، لكنها متآكلة ومشروخة، وأصابعها كانت طويلة بشكل غير طبيعي، أمسكت برأس جمرة برفق مريب، وهمست بصوت ليس صوت أزرق ولا صوت أي شيء عرفته من قبل:

"أنتِ تحملين اسمه... لكنكِ ستنجبين اسمي."

بعدها، انطفأ كل شيء، ولم تعد تسمع سوى نبض بطيء، نبض لم يكن من الكيان هذه المرة، بل من داخل صدرها هي.

الفصل الخامس والخمسون – "بذرة الاسم المحرّم"

إستفاقت جمرة على بركة من سائل أسود يحيط بها، لزوجته كانت أشبه بمخاط فاسد يلتصق ببشرتها، حاولت النهوض، لكن قدميها غرستا في القاع اللزج وكأن الأرض لا تريد أن تدعها ترحل.

لم يكن المكان مألوفًا، لم يكن أمعاء الكيان كما رأت من قبل، بل أشبه بممر لانهائي، سقفه وجدرانه مصنوعة من لحم بشري، ينبض ويزفر بخارًا خفيفًا، على طول الممر، كانت هناك كُتل لحمية تتدلى من الأعلى، أشبه بثمار متعفنة، لكن كل ثمرة كان بداخلها وجه إنسان، يفتح عينيه بين حين وآخر ويراقبها بصمت.

شعرت بوخز شديد في ذراعها اليمنى. نظرت، فوجدت الرمز المحفور عليها، وسم شيطان علوي أزرق، لكنه لم يعد صامتًا، كان يتحرك ببطء، وكأن الحبر نفسه حي، يتسلل تحت جلدها، كلما تحرك،

شعرت بحرارة غريبة تتسلل إلى عقلها، تفتح فيه أبوابًا لم تعرف أنها موجودة.

سمعت صوته، لكنه لم يكن صوت أزرق كما تعرفه، كان أعمق، وأكثر فظاعة، كأنه قادم من بئر بلا قاع:

> "الوسم لم يعد ملكه، إنه الآن بذرتي، حين يحين الوقت، ستنمو داخلك، ولن تبقي كما أنتِ."

ارتجفت جمرة، لكن الخوف هذه المرة لم يكن من الكلام، بل من نفسها، لأن جزءًا منها، في أعماقها، شعر بالرضا الغامض عند سماع ذلك.

ظهر سِيسامي فجأة، يخرج من أحد الجدران وكأنه يخترق بُعدًا آخر، لكن وجهه كان متوترًا أكثر من أي وقت مضى.

> "جمرة، ما حدث هناك، لقد لامسكِ شيء لا ينبغي أن يلمسكِ، أنا لا أستطيع، لا أستطيع إيقاف ما بدأ."

أمسك بمعصمها، وحاول بيده أن يمحو الوسم، لكن أصابعه اشتعلت فورًا بلهب أزرق، صرخ من الألم وسحب يده بسرعة.

"إنه ليس مجرد وسم، إنه جذر من جذور الشيطان العلوي الأزرق نفسه، وإذا نما، ستصبحين أنتِ البوابة."

الكلمة الأخيرة ، البوابة ، بقيت تتردد في عقلها حتى بعد أن سكت سِيسامي، ومع كل ترديد، كانت الصور تومض في مخيلتها: مدن تحترق تحت سماء سوداء، كائنات تمشي فوق الجثث، وأبواب عملاقة تنفتح على ضوء أحمر كدم مغلي.

وفجأة، بدأت الأرض من حولهم تتشقق، وارتفع من الشقوق هواء خانق، يحمل همسات كثيرة بلغات غير بشرية، كلما اقتربت الهمسات، كانت جمرة تفهمها بشكل أوضح، رغم أنها لا تعرف تلك اللغة.

قال أحد الأصوات:

"خمسة فصول أخرى، وسنخرج من قلبها."

قبل أن تسأل ماذا يعني ذلك، سقط السقف بالكامل، وغمرهم ظلام حي، ظلام له أنفاس، وبدأ يزحف نحوها ببطء.

الفصل السادس والخمسون – "عَين البوابة"

استيقظت جمرة على إحساس بارد يزحف من أسفل عمودها الفقري إلى مؤخرة رأسها، كما لو أن شيئًا شفافًا يتسلل داخلها، لم تكن في مكانها المعتاد، بل في حجرة دائرية بلا أبواب أو نوافذ، جدرانها مغطاة بمرايا مشروخة.

لكن المرايا لم تعكس صورتها، بل وجوهًا غريبة، كل واحد منها يحدّق بها بعيون فارغة، وبعضها يبتسم ببطء، وكأنها تعرف ما سيحدث لها.

رفعت يدها لترى وسم الشيطان العلوي "أزرق" ، كان أكبر من قبل، والفروع التي تخرج منه أصبحت تمتد حتى كتفها، بين الفرع والآخر، ظهر شيء

جديد، عيون صغيرة، بشرية المظهر، لكنها تتحرك وتنظر في كل اتجاه.

فجأة، تردّد صوت داخلي في رأسها، لكنه لم يكن "أزرق"، كان صدى هائلًا، يتكلم وكأن كل كلمة تهز العظام:

"العين الأولى قد فُتحت، والبوابة بدأت ترى."

سقطت على ركبتيها، وضغطت على رأسها بكلتا يديها، لكنها لم تستطع منع الصور التي تدفقت في عقلها: مدن غارقة في بحار من الدم، أطفال يمشون بلا وجوه، سماء تنفتح منها أيادٍ سوداء تلتقط البشر واحدًا تلو الآخر.

انشق أحد جدران المرايا فجأة، وخرج منه سِيسامي، وجهه يقطر عرقًا رغم أن المكان كان باردًا.

"جمرة، أنتِ بدأتِ ترى ما لا يجب أن يُرى."

اقترب منها، لكن قبل أن يلمسها، انفتحت إحدى العيون على ذراعها ونظرت مباشرة إليه، تجمد في

مكانه، وعيناه تتسعان رعبًا، وكأن شيئًا يجذبه إلى داخلها.

"أغلقيها!" صرخ بصوت يائس، لكن العيون بدأت تفتح واحدة تلو الأخرى، حتى غطت ذراعها بالكامل.

عندها تغيّر المكان، المرايا تحولت إلى بوابات سوداء، ومن كل بوابة، خرجت أصوات متداخلة، بعضها يبكي، بعضها يضحك، وبعضها يهمس بأسماء لم تسمعها من قبل، أحد هذه الأسماء تردّد بقوة حتى شعرت به يهتز في عظامها: "أزرق قادم".

اقتربت منها يد طويلة نحيلة، بشرة تشبه الفحم، وأصابعها تنتهي بمخالب حادة، لكنها لم تمسك بها، بل لمست الوسم برفق، وكأنها توقظه من سباته.

عند اللمسة، شعرت جمرة بأن قلبها توقف لثانية، ثم عاد ينبض أسرع من أي وقت مضى، وكأن قوة غريبة بدأت تضخ في عروقها.

أما سِيسامي، فقد تراجع خطوتين وهو يهمس لنفسه:

"إذا استمر هذا، لن أكون قادرًا على حمايتها، ولا حتى من نفسها."

وفجأة، انهارت المرايا تمامًا، وتحولت الغرفة إلى ممر مظلم يبتلع الضوء، ومن داخله، جاءت تلك الجملة الأخيرة، لكنها هذه المرة بصوت واضح ومباشر في أذنها:

"أربعة فصول أخرى، والبوابة ستفتح."

الفصل السابع والخمسون — "نبض البوابة"

لم يكن الليل طبيعيًا تلك المرة، السماء فوق رأس جمرة لم تكن سوداء، بل مغطاة بتموجات داكنة تتحرك ببطء، كما لو أن شيئًا عملاقًا يسبح تحت قشرة السماء نفسها.

كانت تمشي وسط الطريق الحجري الذي لم تره من قبل، والضباب الكثيف يزحف على الأرض حتى

ركبتيها، كل خطوة تخطوها، كان الحجر تحتها ينبض بخفة، وكأنه قلب ضخم مدفون في الأعماق.

"أنتِ تسمعينه، أليس كذلك؟"

جاء صوت سِيسامي من الخلف، لكنه كان منخفضًا، وكأن حتى المارد يخشى أن يسمعه أحد.

"ماذا أسمع؟"

"نبض البوابة، إنه يستجيب لكِ، وهذا سيجعلهم يأتون أسرع مما توقعت."

لم تسأله من "هم"، فقد بدأ الضباب يتفتح أمامها كستائر تُسحب ببطء، ليكشف عن مبنى غريب، جدرانه سوداء كالفحم، وعلى سطحه رموز متوهجة تتحرك ببطء كما لو كانت حية.

حين اقتربت، بدأ وسم شيطان علوي أزرق على ذراعها يسخن حتى شعرت بأن جلدها يحترق، عندها، اهتزت الأرض تحت قدميها، وسمعت من داخل المبنى صريرًا منخفضًا، مثل أبواب حديدية عملاقة تفتح ببطء.

"تراجعي، جَمرة!" صرخ سِيسامي، لكن صوتًا آخر، أعمق، وأشد سطوة، دوّى في رأسها:

"خطوة واحدة أخرى، وتبدئين العدّ التنازلي."

لم تفهم معنى ذلك، لكن قدميها تحركتا دون وعي، لتخطو نحو العتبة.

وفور أن لامستها، انبثق من الأرض حولها سياج من الظلال، ارتفع بسرعة ليشكل قبة سوداء حابسة، كان بإمكانها رؤية الخارج من خلالها، لكنها شعرت أن كل شيء صار بعيدًا، حتى سِيسامي بدا مشوش الملامح.

ثم بدأت الظلال تتحرك، تتحول إلى وجوه بشرية مشوهة، أفواهها مفتوحة حتى منتصف وجوهها، وأصواتها تتداخل في همسات متقطعة:

"نحن حراس النبض، أزرق ينتظر."

بدأ الوسم على ذراعها يتمدد أكثر، حتى وصل إلى نصف صدرها، وكل عين على الوسم فتحت في وقت واحد، محدقة في كل اتجاه.

عندها، أدركت أن المكان كله بدأ يتغير: الجدران تنكمش، الأرض تتنفس، والسماء فوق القبة صارت تموج وكأنها سطح ماء مضطرب.

أما سِيسامي، فقد كان يضرب القبة بقبضته وهو يصرخ:

"جمرة! إن بقيتِ هناك أكثر من دقيقة، لن أستطيع إخراجك حتى ولو دمّرت هذا العالم!"

لكن صوت الحراس كان أقوى، يهمس في أذنها، ويشدها للداخل:

"كل نبضة تقتربين منها، تقرّب يوم الفتح."

وفجأة، إنطفأ كل شيء، ظلام كامل، وصوت واحد فقط يردد بإسمها ببطء:

"جمــرة..."

الفصل الثامن والخمسون – "حين يتنفس النبض"

لم يكد الظلام يبتلعها حتى شعرت جمرة بأنها تطفو في فراغ ثقيل، كأن جسدها أصبح بلا وزن، لكن قلبها يدق بسرعة غير طبيعية، لم يكن ذلك نبضها وحده، كان هناك نبض آخر، أعمق، قادم من كل الاتجاهات، يدخل في عظامها ويجعل دمها يغلي.

وفجأة، انفجر الضوء حولها، لكنها وجدت نفسها في وسط شارع مألوف، لم يكن هذا العالم المظلم الذي وقفت فيه قبل لحظة، بل حيّها القديم، أو هكذا ظنّت.

كل شيء كان ساكناً، لكن النوافذ في المباني على جانبي الطريق كانت تنفتح وتغلق تلقائياً، وكأنها تلتقط أنفاسًا. من داخل كل نافذة، كانت عيون تلمع، عيون بشرية، لكن لا أجساد خلفها، مجرد العيون، تحدق بها بلا رمش.

أحست أن الوسم على ذراعها ينبض بقوة، وكل نبضة تُسقط ضوءاً أزرق باهتاً على الأرض، ينتشر في الشقوق بين الحجارة كأنه سائل حي، ومع كل

نبضة، كانت العيون من النوافذ تقترب أكثر، حتى صار بعضها على بعد أمتار قليلة.

"أنتِ تشعرين بهم، أليس كذلك؟"

كان صوت سِيسامي، لكنه هذه المرة بدا مشوشاً، وكأنه يتحدث من بُعد آلاف الأمتار.

"لماذا يتبعونني؟"

"لأن النبض تجاوز البوابة، لقد بدأ يتنفس في عالمك."

قبل أن تستوعب ما قاله، بدأت الأرض تحتها تتحرك، لم تكن هزة أرضية عادية، بل حركة تشبه دقات قلب عملاق، ومع كل دقة، كانت الأشياء تتغير: مصابيح الشارع تحولت إلى جماجم مضيئة، الأشجار إلى أذرع طويلة ذات أصابع عظمية، والسماء تحولت إلى كتلة داكنة تتلوى ببطء.

ثم سمعت صوتاً جماعياً يخرج من كل تلك العيون المحيطة بها:

"دمك هو المفتاح، والنبض لا يخطئ."

لم تتح لها فرصة الهرب، إذ انطلقت الأذرع من كل جانب، تلتف حول جسدها وتجذبها نحو الأرض، حاولت الصراخ، لكن الوسم على ذراعها بدأ يشتعل حتى صار ضوئه يملأ الشارع كله، وفي اللحظة التالية،

انفجر كل شيء إلى رماد أسود، ووجدت نفسها في حضن سِيسامي، الذي كان يلهث وكأنّه خاض معركة مرعبة.

"لقد رأوا وجهك، هذا يعني أنهم سيعرفونك حتى في الأحلام."

لكن جمرة لم تنظر إليه، كانت تحدق في يديها المرتجفتين، حيث بدأ الوسم يتمدد أكثر، وعين ثالثة قد فتحت في وسط كفها، تحدق فيها مباشرة.

"أزرق، بدأ العدّ التنازلي."

الفصل التاسع والخمسون — "صرير ما قبل العاصفة"

كان الليل هذه المرة يبدو وكأنه حارس شرس لا يسمح لأي ضوء بالمرور.

النجوم غابت، القمر توارى خلف سحب متحركة ببطء شديد، وكأن السماء تتآمر مع الأرض لخلق ليلة لا ينساها أحد، خاصة جمرة.

داخل المنزل المهجور الذي لجأت إليه، ساد صمت ثقيل، حتى أن أنفاسها باتت تبدو عالية بشكل مزعج.

ثم، بدأ صوت غريب يتسلل، في البداية لم تميزه: صرير منخفض، بطيء، متقطع، وكأن أحدهم يجر مسمارًا صدئًا على لوح خشبي.

لكن مع كل ثانية، كان الصوت يقترب، ويتحول إلى نغمة مرعبة، ممدودة، تخرق أعصابها.

مدّت يدها نحو الحائط محاولة أن تستشعر الاهتزازات، وبالفعل، الجدار كان يرتجف، بخفة في البداية، ثم بقوة.

أدركت أن الصوت يأتي من الممر الطويل الذي ينتهي بباب خشبي قديم. الباب الذي تعرف أنه يُفتح من الداخل فقط.

طق... طق... طق

ثلاث نقرات، بطيئة، متساوية، يليها همس مبهم.

كلمات لا تنتمي لأي لغة بشرية، لكنها تحمل شعورًا واضحًا، أمرًا بالاقتراب.

الهواء في الممر بدأ يتكاثف، لونه يزداد سوادًا، الظلام لم يعد فراغًا، بل صار كتلة سائلة، تتحرك ككائن حي.

وكلما اقترب، بدا وكأنه يبتلع الأضواء القليلة الباقية.

صوت مألوف اخترق رأسها:

"جمرة، لا تتحركي."

إنه سِيسامي، لكن صوته هذه المرة كان أعمق، ثقيلًا، حتى أن الأرضية تحت قدميها ارتعشت، لكن الظلام لم يتوقف.

بل بدأ يتفرع إلى أشكال تشبه الأذرع الطويلة، تتلمس الجدران، تبحث عنها.

ومن بين ثقوب الممر، خرجت أعين صغيرة متوهجة، عشرات الأعين التي تتحرك بلا جفن،

تتراقص حولها، وأصوات أنفاس تلك الكائنات أشبه بصوت الحيوانات المختنقة، لكنها سريعة، عصبية.

صرخة سِيسامي دوّت فجأة، لم تكن صرخة بشر، بل كانت هديرًا جعل النوافذ تتحطم والزجاج يتناثر في كل اتجاه.

ومن العدم، ظهرت يد عملاقة من الدخان الأسود، تحمل في أطرافها شرارات زرقاء، امتدت وخطفت جمرة في لحظة.

وجدت نفسها في العلية، حيث لم تطأ قدماها من قبل.

الهواء هنا خانق، مليء برائحة العفن القديم، صناديق مغلقة، ملابس ممزقة، ومرآة شاهقة مغطاة بقماش شبه متحلل.

لكن ما جذب نظرها كان الكلمة المحفورة في الخشب أعلى رأسها:

"أزرق".

شعرت ببرودة حادة في قلبها وهي تتذكر ما قيل لها عن وسم الشيطان العلوي "أزرق."

كان الوسم جزءًا من قدرها، والآن صار أقرب من أي وقت مضى.

وقف سِيسامي أمام المرآة، وعندما سقط القماش عنها، انعكس شكله بوضوح لأول مرة،

كان طويلًا بشكل غير طبيعي، جلده الداكن يشبه الضباب الكثيف، وعيناه دوامتان من لهب بارد، كلما تحركت تسببت بذبذبات في الهواء، قال بصوت كالمطرقة:

"اقترب الموعد، لكنكِ لستِ مستعدة بعد."

قبل أن تتمكن من سؤاله، انكمش الظلام حوله واختفى، لكن الصرير عاد، أقرب هذه المرة، حتى شعرت بأنفاس شيء ما خلف أذنها، يهمس بكلمة واحدة:

"بقي القليل."

الفصل الستون — "حين يفتح الباب الأخير"

لم يكن الليل هذه المرة مجرد غياب للشمس، بل كان كائنًا ضخمًا يزحف فوق المدينة، يخنق أنفاسها، ويكتم صرخاتها.

السماء بدت وكأنها مرآة مشروخة، تتساقط منها قطع من الظلال، وكل قطعة تحمل وشمًا غامضًا يشبه النقوش التي رآتها جمرة في كوابيسها.

في قلب هذا السواد، كانت جمرة واقفة أمام بوابة لم ترَ مثلها من قبل.

لم تكن بوابة من خشب أو حديد، بل من مادة غريبة، سوداء، تموج كما لو كانت من سائل حي.

كلما اقتربت، ظهر على سطحها وميض أزرق متوهج، يشبه وسم شيطان علوي أزرق، ولكن أكبر، أعمق، وكأنه محفور في قلب البوابة نفسها.

سِيسامي كان هناك، واقفًا خلفها، صامتًا على غير عادته، عيناه تشتعلان بضوء أبرد من الجليد.

قال بصوت منخفض، وكأنه يخشى أن يسمعه شيء آخر:

"ما خلف هذه البوابة، ليس للعالم مكان فيه."

لكن قبل أن تتمكن من سؤاله، بدأ الهواء يشتعل.

الأرض اهتزت تحت قدميها، وانبثق من الشقوق دخان أسود، يتحول بسرعة إلى أشكال بشرية بلا ملامح، تحيط بها، تتحرك ببطء شديد، ثم فجأة، توقفت كل الأصوات.

الصمت لم يكن راحة، بل كان كالموت.

حتى قلبها توقف عن النبض للحظة، قبل أن تسمع صوتًا لم يكن من سِيسامي، ولا من أي شيء تعرفه:

"لقد جئتِ في الموعد، يا حاملة الوسم."

الظل أمامها بدأ يتكثف، ويتحول إلى مخلوق ضخم، أكبر من أي شيء رأته.

قرونه ملتوية كأغصان محترقة، وعيناه تتوهجان بضوء أزرق كالعاصفة، وكل خطوة منه كانت تشق الأرض كما لو كانت ورقة.

مدّ يده، وظهر على معصمها فجأة وسم شيطان علوي أزرق نفسه، يتوهج، يحرق جلدها، يرسل في

عروقها إحساسًا لا يشبه الألم، ولا المتعة، بل شيئًا آخر، خليطًا من العطش والدمار.

صرخ سِيسامي فجأة، وهذه المرة لم يكن صراخه تحذيرًا، بل أمرًا:

"الآن، اختاري!"

اختيار ماذا؟ لم تعرف،

لكن البوابة خلف الكائن بدأت تتفتح، ومن داخلها انبثق ضوء أعمى البصر، ومعه أصوات ملايين الهمسات، بعضها يبكي، بعضها يضحك، وبعضها يردد جملة واحدة:

"الجزء الثاني، يبدأ هنا."

شعرت جمرة بأن العالم من حولها يُسحب إلى الداخل، كل شيء يلتف، يتشوه، يتفتت.

السماء انقسمت إلى نصفين، والأرض صارت فراغًا،

والبوابة ابتلعت كل شيء.

ثم، الظلام.

وفي اللحظة التي انغلقت فيها البوابة، لم يبقَى من العالم سوى صدى خافت، يشبه أنينًا ممتدًا عبر عصور لا يعرفها البشر.

لم تكن جمرة تعلم إن كانت ما تزال واقفة على أرض الواقع، أم أن قدميها قد وطئتا أرضًا لا شمس لها ولا قمر

وفي عمق السواد، همس صوت بلا ملامح، وكأن الكون نفسه قد انحنى ليقول لها:

"لقد انتهى زمنك هنا... وما ينتظرك هناك... لا إسم له."